

البراهين الدامغة في إزهاق أباطيل الأشاعرة

(بحث لنيل شهادة المولوي في قسم الدراسات الشرعية في كلية ابن عباس العربية)

إعداد الطالب : رفقي بن أبي حنيفة

المشرف : الشيخ محمد ظفر بن أجداد

٢٠٠٩م / ١٤٣١

كلية ابن عباس العربية

جالي - سريلانكا

مقدمة

فإن أتفاخر جدا بأنه سنحت لي فرصة قيمة لأسرح نظري في القضية العقدية التي ينبغي لكل مسلم الإمام التام بها لأن العقيدة هي العروة الوثيقة التي لا تنفصم عن أن يجعل العبد بين ربه صلة قوية بتداده حبا وشفقة .

فاني وجست من خوف شديد لكوني أعبر على معبر خطير يسيل تحته نهر عميق بيد أني أقدمت أن أحرر هذا الموضوع الذي بين يديكم الآن لأن لي أسوة بمن سبقني من الائمة الأجلاء الذين قاموا بالتحقيق في النقيض والقطمير . ولكل منهم خصيصة متميزة بانقلد آراء المتنبهة المخالفة لأهل السنة والجماعة . وألجموا عليهم ردودا مقنعة حيث لا يتطلب المجال إلا ان تتوسع في تسهيلها وتقريبها إلى الأفهام . وعلى منطلق هذا التسهيل سار من خلفهم بمعالجة هذا الموضوع . وبالرغم من إني غير متضلع من هذا الجانب إلا أنه دعني شدة شوقتي إلى تحصيل هذا المبحث الذي أرى له قيمة بخسة حين رميت بنفسي بين يدي الفضلاء الأجلاء . مهما كان ذلك كذلك تظمئ نفسي إلى هذا البحث سيمثل ذرة تقدم لمن يخلفني من الطلاب الناشئين في هذه الكلية المباركة .

وأشكر الله على منه علي حين أتاح لي فرصة منيفة للانتساب إلى كلية ذات فضل وعظمة تتميز عن غيرها من الكلية الشرعية الممثلة في دولة سريلانكا بالتحقيق والتدقيق على ضوء القرآن والسنة . وهي كلية ابن عباس العربية التي يعتز بها كل طالب علم منتسب إليها .

ولقد وفقني الله توفيقا جزيلا لأن اتدرج في مسالك العلم بهذه الكلية المباركة بغية إتمامي دراسات شرعية مقررّة خلال سبع سنوات حيث يلزم كل متخرج ظافر بشهادة التحصيل لتحرير مبحث حول موضوع معين مما تخيره الإدارة . وعبر بيالي كثير من الموضوعات فوق اختيارى على موضوع الرد على الاشاعرة .

❖ اسباب جعلتني اختار هذا الموضوع

أتصور لهذا الموضوع دوافع ودواعي من أهمها ما يأتي :

- ضراوة همتي في إدراك المسائل العقدية بشكل جدير وإيضاحه للذين تشبه عليهم فضلا عن العوام الذين لا أرى لهم غالبا حظاً من الإمام بهذا الجانب .
- نزع الدعاوى الواهية من محض مزيلات المؤولة وأجهاضها باقامة براهين مدحضة .
- ذبوع المذهب الاشعري وبلوغه قمة الازدهار والقبول المرحوب في دولة سريلانكا حيث يتفوق على أهل السنة رغم بطالانه وفساده فكان من المهمات استعجال العلاج وإفصاح الأمر
- ظهور الخريجين وهو قلب قلب في هذا المذهب وصرفهم الى النظريات الصحيحة .

وليس من وسعى ومستطاعى - فى هذا المقام - إلا أن أتفضل بكل رحابة صدرى الى معالى الأساتذة الذين مهدوا لى مواصلة دراستى العلمية لتوجيه شكرى الخالص وودي الصافى اليهم . جزاهم الله عنا خير الجزاء .

وأجزل لهم المثوبة كما أخصص شكرى لأستاذى المحترم محمد ظفر بن العالم محمد أجواد البهجي المدني الذى تأهل بأشراف مبحثى الهام وتقديم آراء ملائمة لتصويب ما أحرره أسأل الله أن يوسع به فى عمره .

وفى مسك الحتام فهذا جهد من تعرض للخطأ والصواب فقد يطلع القارئ على هفوة او هفوات وليس من وسع أ حد أن يدعى لنفسه العصمة . ولذا أطلب كل من عثر على زلل أو خطأ أن يصوب ما أخطأ هذا الفقير الضعيف .

الطالب

محمد رفقي بن محمد حنيفة

حالي - كلية ابن عباس العربية

الفصل الأول

تعريف الأشاعرة :

فرقة كلامية إسلامية .تنسب لأبي الحسن الأشعري الذي خرج على المعتزلة كما قال الشهرستاني "الأشعرية أصحاب أبي الحسن علي ابن إسماعيل الأشعري " متأخرهم في الحملة يؤمنون ويشبتون صفات المعاني لسبع ويمنعون قيام الصفات الاختيارية بالله تعالى.

وفي مباحث الإيمان لهم شبه بالمرجئة في تعريفه وفي موافقهم من الصحابة وفي الأمور السمعية الأخروية لا يخالفون أهل السنة والجماعة وقد اتخذت الأشاعرة الراهين والدلائل العقلية والكلامية وسيلة فمحتاججة خصومها من المعتزلة والفلاسفة وغيرهم لا ثبات حقائق الدين والعقيدة الإسلامية على طريقة ابن كلاب.¹

نشأة الأشاعرة

أول نشأ علم الكلام بين المنتسبين للسنة والحديث في منصرف القرآن الثالث وهي أول الفرق الكلامية بعد الجهمية والمعتزلة وبعد انقضا القرون الثلاثة الفاضلة وفي أول القرن الرابع ا لهجري نشأت فرق أهل الكلام القائمة الأشاعرة المنتسبون لأبي الحسن الأشعري المتوفى (٢٢٤) وكان أول من باشر علم الكلام عبد الله بن سعيد كلاب (ت ٢٤١) وأبو العباس القلانسة والحارث المحاسب (ت ٢٤٣) بدعوى تاييد عقيدة السلف بحجج كلامية وبراهين اصولية ثم إنحاز إليهم الأشعري (٢٢٤هـ) فانفتح باب التأويل وختلط تلك المناهج الجهمية والمعتزلة ثم الفلاسفة ثم الصوفية حتى زعم متأخرو المتكلمين أن علم الكلام هو مذهب أهل السنة والجماعة وجهلوا السلف ونسبوا إليهم الجسم والتجسيم ووقع ما حذر منه المصطفى صلى الله عليه وسلم.

كانت الفرق الكلامية الأولى : < الكلامية ثم الأشاعرة والماترودية > أقرب الى سمت السلف وكانت مخالفتها لأئمة السنة والجماعة لا تتجاوز مسائل محدودة في الصفات الاختيارية وكلام الله تعالى وبعض مسائل القدر <في الكسب والإستطاعة > أما سائر الأصول فهم على نهج السلف وكان ذلك في القرن الرابع.

لكن مع الزمن تحولت الأشاعرة والماترودية (أهل الكلام) الى فرق كلامية خالصة وورثت مناهج خصومها (وخصوم السلف) الجهمية والمعتزلة في تقرير العقائد.

ثم تجارت بهم أهواء حتى بعدت عن النهج السلف واقتربت من مناهج المخالفين وأخذت بها أحيانا فخالفت في الصفات (سوى سبع صفات أو ثمان أو أربعة عشر أو عشرين)على اختلاف بينهم وخالفت في مفهوم التوحيد وتقريره وخالفت

كذلك في مناهج الدين ومصادره حيث اعتمدت على العقلية والقواعد الفلسفية في تقرير العقيدة بعد حجية الآحاد إلا في الأحكام فخالفت في الإيمان ومسائله حيث أنكرت زيادة الإيمان وقصانه .

والاستثناء في الإيمان، ودخلها التصوف، حتى تمر إلى التجسيم والتشبيه.

وانتهى المطاف بالأشاعرة والماترودية إلى أن أصبحت فرق كلامية فلسفية صوفية مقابرة لكنها أقرب الفرق الكلامية إلى سمات أهل السنة والسلف في العموم.^٢

العلماء المرموقون المنتمون إلى الأشاعرة

ابن الباقلاني :

هو محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر من كبار علماء الكلام هذب بحوث الأشعري وتكلم في مقدمات ال فيها كثير ا المقدمات في كتب ولا سنة وكان ثقة . بارعا صنف في الرد على الرافضة والمعتزلة والخوارج والجهمية والكرامية وانتصر لطريقه ابن الحسن الأشعري وقد يخالفه في مسائل فإنه من نظرائه وقد أخذ على النظر عن أصحابه ثم انتهى إلى مذهب السلف وأثبت جميع الصفات كالوجه واليد على الحقيقة و النطل أصناف التأويلات التي يستعملها المؤولة وذلك في كتابه. تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل ولد في البصرة وسكن بغداد وتوفي فيها وجهه عضد الدولة سفيرا عنه الى مالِك الروم. وجرت في القسطنطينية مناظرات مع علماء النصرانية بين يدي ملكها من كتابه اعجاز القرآن الإنصاف مناقب الأئمة حقائق الكلام الملل والنحل. الإستبصار تمهيد الأوائل كشف اسرار الباطنة.

وذكره القاضي عياض { في طبقات المالكية } فقال هو الملقب بسيف السنة لسان الأمة المتكلم على لسان أهل الحديث وطريق ابن الحسن واليه انتهت رئاسة المالكية في وقته وكان له بجامع البصرة خلقه عظيمة.

مات في ذي القعدة سنة ثلاث وأربع مئة وصلى ابنه حسن وكانت جنازته مشهودة وكان سيفاً عند المعتزلة والرافضة والمشبهة وغالب قواعد على السنة وقد أمر شيخ الحنابلة أبو الفضل التميمي مناديا يقول بين جنازته هذا ناصر السنة والدين والذاب عن الشريعة هذا الذي صنف سبعين ألف ورقة ثم كان يزور قبره كل جمعة .^٣

أبو إسحاق الشيرازي

الشيخ الإمام القدوة المجتهد شيخ الإسلام أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف ال فيروز ابادي الشيرازي العلامة المناظر ولد في فيروز اباد بفارس سنة ثلاث وتسعين مئة وانتقل ابن شيرازي الى البصرة ومنها الى بغداد سنة (٤١٥)

تفقه على ابن عبد الله البيضاوي وعلد الوهاب رامين بشيرازي وأخذ بالبصرة عن الخريزي قدم بغداد سنة خمس مئة وأربع مئة فلزم أبو الطيب وبرع وصار معيدة وكان يضرب المثل بفصاحته وقوة مناظرته.

وظهر نبوغه في الفقه الشافعي وعلم الكلام فكان مرجع الطلاب ومفتي الأمة في عصره واشتهر بقوة الحجة في الجدل والمناظرة. بنى له الوزير نظام الملك: المدرسة النظامية على شاطئ دجلة وكان يدرس فيها ويدبرها.

عاش فقيراً صابراً وكان حسن المجالسة. طلق الوجه فصيحاً مناظراً ينظر الشعر، مات ببغداد ليلة الحادي والعشرين من جمادى الآخرة سنة ست وسبعين وأربع مئة ببغداد ليلة الحادي والعشرين إلى دار أمير المؤمنين المقتدي بالله وصلى عليه فدفن بمقبرة باب البرز.

قال السمعاني : هو إمام الشافعية، ومدرس النظامية وشيخ العصر رحل الناس إليه من البلاد وقعدوه . وفقد بلعلم الوافر مع السيرة الجميلة والطريقة المرضية جائته الدنيا صاغرة. فأبأها وافتصر على خشونة العيش أيام حياته صنف في الأصول والفروع والخلاف والمذهب . وكان زاهدا درعا متواضعا طريق كراما وجوادا طلق الوجه دائم البشر مليح المحاودة حدث عنه جماعة كثيرة.^٤

أبو إسحاق الإسفراييني

الإمام العلامة الأوحى الأستاذ أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن مهران الإسفراييني، الأصول الشافعي الملقب ركن الدين أحد المجتهدين في عصره وصاحب المصنفات . وهو إبراهيم بن إبراهيم بن مهران، أبو إسحاق عالم بالفقه والأصول وكان يلقب بركن الدين. وهو أول من لقب به من الفقهاء ،

نشأ في إسفراييني { بين نيسابور وجرجان } ثم خرج إلى نيسابور وبنيت له مدرسة عظيمة فدرس فيها ورحل إلى خراسان وبعض أنحاء العراق فاشتهر في العلم الإسلامي . ألف في علم الكلام كتابه الكبير الذي سماه الجامع في أصول الدين والرد على الملحدين. قلل ابن خلكان : رأيته في خمسة مجلدات. توفي أبو إسحاق الإسفراييني رحمه الله تعالى في يوم عاشوراء سنة ثمان عشرة وأربع مئة نيسابور ثم نقل إلى إسفراييني ودفن بها وكان قد نيف على الثمانين وارتحل في الحديث وسمع من دعلج السجزي وعبد الخالق بن أبي ردا وأبي بكر محمد بن عبد الله الشافعي. ومحمد بن زياد بن سعد وأبي بكر الإسماعيلي.

وحدث عنه أبو بكر، وأبو قاسم القشيري ومن تصانيفه كتاب ((الجامع الحد في أصول الدين والرد على الملحدين)) في خمس مجلدات وبنيت له مدرسة مشهورة. وتوفي بنيسابوري يوم عاشوراء من ثمان عشرة وأربع مئة.

وقال الحافظ ابن عساكر: حكى لي من أثق به . إن أصحاب إسماعيل بن عباد كان إذا انتهى إلى ذكر هؤلاء يقول ابن الباقلاني :

وبحر مغرق وابن فورك مطرق والإسفرائيلي نار تعرق هـ

إمام الحرمين

الإمام الكبير شيخ الشافعية .إمام الحرمين أبو المعالي عبد الملك ابن الإمام أبي محمد عبد الله بن يوسف بن عبد الله بن يوسف بن محمد بن حيوية الجويني النيسابوري ضياء الدين، الشافعي صاحب التصانيف، وهو عبد الملك بن يوسف بن محمد الجويني الفقيه الشافعي ولد في بلدة جوين في أول سنة تسع عشرة وأربع مائة {من نواحي نيسابوري} ثم رحل إلى بغداد فمكة حيث جاوز فيها أربع سنين وذهب على المدينة المنورة ودرس، وسمع من أبيه وأبي سعيدي وأبي حسان وروى وروى عنه أبو عبد الله الفراوي وزاهر الشحامي.

ثم عاد أبي نيسابور فبنى له فيها الوزير نظام الملك المدرسة النظامية وكان يحضر دروسه أكابر العلماء .وبقى على ذلك قريبا من ثلاثين سنة غير مزاحم ولا مدافع ودافع فيها عن الأشعرية. فشاع ذكره في الآفاق إلا أنه في نهاية حياته رجع إلى مذهب السلف. وقد قال في رسالته النظامية والذي نرتضيه رأيا وندين به عقيدة اتباع سلف الأمة للدليل القاطع حملا أن اجماع الأمة حجة..... وبعض ذلك ما ذهب اليه في كتابه { غياث الأمم في التياث الظلم } فبالرغم من أن الكتب مخصص العرض الفقه السياسي الإسلامية فقد قال فيه والذي أذكره الآن لآحقا بمقصود هذا الكتاب أن الذي يحرص الإمام عليه جمع عامة الخلق على مذهب السلف السابقين قبل أن نبعث الأهواء وزاغت الآراء وكانوا رضي الله عنهم ينهون عن التعرض للعوامض والعمق في المشكلات نقل القرطبي في شرح مسلم أن الجويني كان يقول لأصحابه { يا أصحابنا لا تشتغلوا بالكلام فلو عرفت أن الكلام يبلغ ما بلغ ما شغلنا به } توفي رحمه الله بنيسابوري في الخامس والعشرين من ربيع الآخر سنة ثمان وسبعين وأربع مائة ودفن في داره ثم نقل بعد سنين إلى مقبرة الحسين فدفن بجانب والده وكان تلامذته يؤمنون بأربع مائة ومن مصنفاته العقيدة النظامية في الأركان الإسلامية البرهان في أصول الفقه. ونهاية المطلب في دراية المذهب في فقه الشافعية والشامل في أصول الدين.

أبو حامد الغزالي

الشيخ الإمام البحر حجة الإماء أعجبة الزمان زين الدين أبو حامد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي الشافعي الغزالي صاحب التصنيف والذطاء المفرط.

وهو محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطولي . حجة الإسلام ولد في الطبراني .قصة طوس بخراسان وتوفي فيها.رجل إلى نيسابوري ثم إلى بغداد فالحجاز فبلاد الشام فمصر ثم عاد إلى بلده أولا ثم تحول إلى نيسابوري في مرافقه جماعة من الطلبة فلزم أئمة الحرمين فبرع في الفقه في مدة قريبة ومهر في الكلام والجدل حتى صار عين المناظرين، وعاد للطلبة وشرع في التبريد لم يترك الغزالي مسلك الباقلاني .بل خالف الأشعري في بعض الآراء وخاصة فيها يتعلق

بالمقدمات العقلية في الاستدلال ودم علم الكلام وبين أن أدلته لا يعضد اليقين كما في كتبه : المتقن من الضلال وكتاب :
التفرقة بين الإيمان والزندقة، وحرّم الخ وض فيه فقال: لو تركنا المداهنة لصرحنا بأن الخ وض في هذا العلم حرام { اتجه نحو
التصوف واعتقد أنه الطريق الوحيد للمعرفة وعاد في آخر حياته على السنة من خلال دراسة صحيح البخاري. ٧

فخر الدين الرازي

العلامة الكبير، ذو الفنون، فخر الدين، محمد بن عمر بن الحسين القرشي البكري الطبرستاني الاصولي كبير الأذكياء والحكماء
والمصنفين هو أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الطبرستاني الرازي ولد سنة أربع وأربعين وخمس مائة
الملقب بفخر الدين المعروف بابن الخطيب الفقيه الشافعي قال عنه صاحب و فيلن الأعيان { أنه فريد عصره ونسيج
وحده، فاق أهل زمانه في علم الكلام والمعقولات { وهو المعبر عن المذهب الأشعري في مرحلته الأخيرة حيث خلط الكلام
بالفلسفة بالإضافة إلى أنه صاحب القاعة الكلية التي انتصر فيها للعقل وقدمه على الأدلة الشرعية.

واشتغل على أبيه الإمام ضياء الدين خطيب الرأي وانتشرت توافه في البلاد شرقا وغربا وكان يتوقد ذكاء.

قال فيه ابن حجر في لسان الميزان : كان له تشكيكات على مسائل من دعائم الدين تورث الخير وكان يورد شبه الخصوم
بدقة ثم يورد مذهب أهل السنة على غاية من الوهن إلا أنه أدرك عجز العقل.

وقد بدت منه في توافيه بلاتا وعظائموسحر وانحرافا عند السنة والله يعفو عنه فانه توفي على طريقة حميدة والله يتولى
السرائر فاوصى وصية تدل على حسن اعتقاده . وفقد نبه في اواخر عمره الى ضرورة اتباع منهج السلف.

واعلن إنه اسلم المناهج بعد ان دار دورته في طريق علم الكلام . فقال (لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج
الفلسفية فنا رأيها يشفى عليلا ولا يرولا غليلا . ورأيت اقرب الطرق طريقة القرآن اقرأ في الاثبات ((الرحمن على العرش
استوى)) ((طه)) ((اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح)) ((فاطر : ١٠)) وقرأ في النفس ((ليس كمثل شئ هو السميع البصير
((الشورى)) ((ولا يحيطه علما)) ((طه: ١١)) ثم قال في حصرة وندامة ((ومن جرب تجربت تعرف معرفتي)) توفي في بھراة يوم
عيد الفطر سنة ست وست مائة ولد بضع وستون

ومن اشهر كتبه في علم الكلام : أساس في علم الكلام شرح قسم ولا الهيتانمن اشارات ابن سينا . واللوامعالبينات في
شرح اسماء الله تعالى والصفات الهيات والبرهان في الرد على اهل الزيغ والضلال كافية العقول.

المراحل الاعتقادية الثلاث التي مر بها ابو الحسن الأشعري

المرحلة الاولى :

وهذه المرحلة الاولى كان سببها ملازمته لشيخه أبو علي الجبائي شيخ المعتزلة في عصره .زوج أمه وتلقى علومه حتى صار نائبه وموضع سرقته ولم يزل أبو الحسن يتزعم المعتزلة أربعين سنة (٩) ثم فارقه لما لم يجد أجابات كاملة في مسألة الصلاح الأصلح على الله تعالى وقيل أنه رأي النبي صلى الله عليه وسلم مناما وأمره ان يروي العقائد يرويه عنه لأنه الحق ولهذا اعتمد الأدلة النقلية في تقرير العقائد.

المرحلة الثانية :

عاش أبو الحسن الأشعري في آخر المرحلة الإعتزالية حيرة كبيرة وقد اختفى مدة عن الناس خاليا بنفسه ليعرف الحق،ومال إلى طريقة ابن كلاب جاء في زمان كان الناس فيه صنفين:
فأهل السنة والجماعة يثبتون الصفات كلها الذاتية والفعلية،والجهمية ينكرونها فجاء ابن كلاب أثبت الصفات الذاتية ونفى ما يتعلق منها بالمشيئة فلذلك قرر الأشعري هذه العقيدة.

لثو فيها على مذهب الإعتزال الذي كان ينافخ عنه بعد أن إعتكف في بيته خمسة عشر يوما لا يخرج إلى الناس وفي نهايتها خرج في يوم الجمعة وبعد أن إنتهى من الصلاة صعد المنبر وكان مخاطبا من امامه من جموع الناس { ايها الناس من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني وأنا أعرفه بنفسي أنا فلان بن فلان كنت أقول بخلق القرآن و ان الله تعالى لا يرى بالأبصار وأن أفعال الشر أنا أفعالها وأنا ثابت مقلع متصد للرد على المعتزلة مخرج لفضائحهم.(١٠)

معاشرة الناس أنما تنجحت عنكم هذه المدة لأني نظرت فتكافأت عندي الأدلة ولم يترجح عندي شيء على شيء فاستهديت الله تعالى فهذاني إلى اعتقاد ما أو دعه كتي هذه وانخلعت نت جميع ما كنت أعتقد كما انخلعت من ثوبي . وانخلع من ثوب كان عليه وودفع الناس ما كتبه على طريقة الجماعة من الفقهاء والمحدثين.

وأعلن البراءة من الإعتزال وخط لنفسه منهجا جديدا يلجأ فيه من تأويل النصوص بما ظن أنه يتفق مع أحكام العقل: وفيها اتبع طريقة عبد الله بن سعد بن كلاب في اثبات الصفات السبع عن طريق العقل : الحياة والعلم والإرادة والقدرة والسمع والبصر والكلام أما الصفات الخيرية كالوجه واليدين والقدم والباقي فتأولها على ما ظن أنها تتفق مع أحكام العقل.وهذه هي المرحلة التي ما زال الأشاعرة عليها.

المرحلة الثالثة :

إثبات الصفات جميعها لله تعالى من غير تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل ولا تحريف ولا تبديل ولا تمثيل ه ذه المرحلة يمثلها كتاب الإبانة الذي بين في مقدمته مؤلفه أبو الحسن الأشعري أنه ينتسب إلى الإمام احمد ابن حنبل في الإعتقاد وبمثله كذلك رسالته إلى أهل الشعر ومقالات الإسلاميين وفي هذه المرحلة كتب كتاب الإبانة أصول الديانة الذي عبر فيه عن

تفصيله لعقيدة السلف ومنهجهم الذي كان حامل لوائه الإمام أحمد بن حنبل ولم يقتصر على ذلك بل خلف مكتبة كبيرة في الدفاع عن السنة وشرح العقيدة تقدر بثمانية وستين مؤلفا توفي سنة ٣٢٤ هـ ودفن ببغداد ونودي على جنازته : اليوم مات ناصر الدولة. ١١

حول كتاب الإبانة للأشعري

وقد حاول البعض التشكيك في المرحلة الأولى وأنكروا نسبة كتابه الإبانة واحتجوا بأن أب بكر بن فورك ذكر مصنفات الأشعري ولم يذكر منها الإبانة لكن ابن عساكر استدرك علي ابن فورك مصنفات أخرى للأشعري فاتته مثل رسالته الأشعري على أهل الشعر ورسالة الحث على البحث (١٢) فلماذا لا تكون رسالة الإبانة من بينها لا سيما وأن السبكي قد اقر لأنها النسخة المعتمدة عند الأشاعرة.

توفي ابن عساكر والبيهقي والسبكي كتاب الإبانة

وقد أثبت الحافظ البيهقي نسبه إليه وقد ألف الحافظ ابن عساكر كتاب تبين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري نقل فيها فصولا من كتاب الغبانة للأشعري ثم أكد أن الأشاعرة القدامى لا يزالون يعتقدون ما في كتاب الإبانة اشد الاعتقاد. (١٣)

وقد وصف السبكي كتاب التبيين بأنه الكتاب الذي يعتمد على نقله الأشاعرة (١٤) واحتج ابن عذبة من الحنفية بالكتابة (١٥) وصرح أبو القاسم عبد الملك بن عيسى بن درباس (توفي ٦٠٥ هـ) أن كتاب الإبانة هو آخر ما استقر عليه أمر الأشعري فيما كان يعتقد (١٦) وذكر عن إمام القراء أبي علي الحسن بن علي بن إبراهيم الفارسي أن الأشعري صنف الإبانة في بغداد لما دخلها (١٧)

وصرح ابن العمان الحنبلي في شذرات الذهب ٣٠٣/٢ أن كتاب الإبانة هو آخر ما ألفه الأشعري ويعتمد عليه أصحابه في الذب عنه ضد من يقطع فيه.

اعتراف السبكي برجوع الأشعري إلى مذهب أحمد

وهذا ما أكد السبكي وهو أن الشيخ الأشعري رجع إلى مذهب السلف وأن عقيدته هي عقيدة أحمد بلا شك ولا ارتياب وأن الأشعري صرح هو نفسه بذلك مرارا في تصانيفه أن عقيدتي هي عقيدة الإمام المبجل أحمد بن حنبل قال السبكي هذه عبارة الشيخ أبي الحسن في غير موضع من كلامه. ١٨

١. منهج أهل السنة والجماعة بشيء من التصرف ٣٨/١
٢. منهج أهل السنة والجماعة بشيء من التصرف ٣٩/١
٣. سير أعلام النبلاء ٤٥٧/١٥
٤. سير أعلام النبلاء بشيء من التصرف ٢٣٠/١١
٥. سير أعلام النبلاء بشيء من التصرف ٤٩٠/١٠
٦. سير أعلام النبلاء بشيء من التصرف ٢٣٩/١١
٧. سير أعلام النبلاء بشيء من التصرف ٥٠١/١١
٨. سير أعلام النبلاء بشيء من التصرف ٥٩٠/١٢
٩. نقض عقائد الأشاعرة والماتريدية ص ٢١
١٠. وفيات الأعيان ٢٨٤/٣
١١. منهج أهل السنة والجماعة بشيء من التصرف ٣١/١
١٢. تبين كذب المفتري ١٣٦ نقلا من منهج أهل السنة والجماعة
١٣. تبين كذب المفتري ١٥٦-١٥٨ نقلا من منهج أهل السنة والجماعة
١٤. طبقات السبكي ١٣٣/١ مخففة نقلا من منهج أهل السنة والجماعة
١٥. الروضة البهية ٥٣ نقلا من موسوعة أهل السنة والجماعة
١٦. رسالة في الذب عن أبي الحسن الأشعري ص ١١٥ نقلا من موسوعة أهل السنة والجماعة

١٧. رسالة في الذب عن ابي الحسن الاشعري ص ١١٥ نقلا من موسوعة اهل السنة والجماعة

١٨. طبقات الشافعية ٩٩/٣ او ٢٣١/٤ مخففة

الفصل الثاني : منهج أهل السنة والجماعة في مسائل توحيد الألوهية

توحيد الألوهية – الألوهية هي العبادة

توحيد الألوهية :

هو أفراد الله تعالى بأفعال العبادة التي يفعلون على وجه التقرب المشروع . كالدعاء والنحر والرجاء والخوف والتوكل والرخبة والرهبنة والإبانة. وهذا النوع من التوحيد هو موضع دعوة الرسل من أولهم 'إلى آخرهم. قال الله تعالى { ولقد بغشنا في كل أمة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا التاغوت } (١) قال الله تعالى { وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي اليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون } (٢)

وكل رسول يبدأ دعوته لقومه بالامر بتوحيد الألوهية كما قال نوح وهود وصالح وشعيب ((يقوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره)) (٣) ((وابراهيم اذ قال لقوم اعبدوا الله واتقوه)) (٤) وقال صلى الله عليه وسلم ((امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله إلا الله)) (٥) وأول ما يؤمر به من يريد الدخول في الإسلام النطق بالشهادتين فتبين من هذا أن توحيد الألوهية مقصود دعوة الرسل . وسمي بذلك لأن الألوهية وصف الله تعالى الدال عليه اسمه تعالى الله والله ذو الألوهية أي معبود.

إن العبودية ضد العبد حيث أنه يجب عليه أن يعبد الله مخلصا في ذلك لحاجته إلى ربه وفقره إليه قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله واعلم أن فقر العبد إلى الله أن يعبد لا يشرك به ليس له نظير ففاس به لكن يشبهه من بعض الوجود حاجة الجسد إلى الطعام والشراب. وبينها فروق كثيرة فإن حقيقة العبد قلبه وروحه وهي لا يصح لها إلا بالهها الله الذي لا إله هو. فلا تطمئن في الدنيا إلا بذكره. ولو حصل للعبد لدان وسرور بغير الله فلا يدوم ذلك بل ينتقل من نوع إلى نوع ومن شخص إما إله فلا بد له منه في كل حال وكل وقت. وأينما كان فهو معه

تعريف العبادة :

فالعبادة : الطاعة مع الخضوع قال الشيخ الراغب: العبودية إظهار التذلل والعبادة أبلغ منها لأنها غاية التذلل (٦) وقال الزجاج ومعنى العبادة قي اللغة الطاعة مع الخضوع (٧) وقال الجوهري أصل العبودية : الخضوع والتذلل. (٨)

ومن التعريف اللغوي السابق يمكن أن يقال عن العبادة الشرعية أنها : الإعتقاد والخضوع لله تعالى على وجه التقرب إليه بما شرع مع الصحة. للعبادة معان ما تتعلق به ويجب كونها مصدرا أو اسما أو يحسب المتوجه بها إليه ويحسب ما يظهر فيها من حق.

فالعبادة من حيث تعلقها بعموم الخلق وخصوصهم تنقسم إلى عبادة عامة كونه وإلى خاصة شرعية.

فالعبادة العامة : هي عبادة القهر والملك وهـ و تشمل أهل السماوات والأرض كلهم مؤمنهم وكافرهم، فالجميع عبيد مربيون لله قال الله تعالى { وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا إدا تقاد السماوات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدة، أن دعوا للرحمن ولدا، وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدا، إن كل من في السماوات والأرض إلا آتي الرحمن عبدا } (٩)

وأما العبادة الخاصة الشرعية فهي عبادة الطاعة والخضوع والذل والمحبة إختيارية، وهي خاصة لمن وفق الله من المكلفين من الأنبياء والمرسلين وعامة المؤمنين بهم.

ومن آية الواردة فيها قول الله تعالى { يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون } (١٠) وقوله { فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه } (١١)

فالعبادة باعتبارها مصدرا تعني التعبد وهو فعل العابد وتعريفها : التذلل لله محبة وتعظيمها بفعل أوامره واجتناب نواهيه على الوجه الذي جاءت به شرائعه.

وأما باعتبارها إسما فهي تعني : المتعبد به وتعريفها : أمر جامع بكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة.

ومن التعريف المذكور في معنى العبادة باعتبارها إسما يتضح وعمل الجوارح وهذا معنى قوله : من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة وقد فصل ابن القيم هذه المراتب.

قول القلب : هو اعتقاد ما أخبر الله سبحانه عن نفسه وعن أسمائه وصفاته وأفعاله وملائكته ولقائه على لسان رسله.

قول السان : الإخبار عنه بذلك والدعوة إليه والذب عنه وتبيين بطلان البدع المخالفة له والقيام بذكره وتبليغه أوامره.

عمل القلب : كالمحبة له والتوكل عليه والإنابة إليه والخوف منه والرجاء له وإخلاص الدين له والبصر على أوامره وعن نواهيه وعلى إقراره والرضي عنه به والموالاتة فيه والمعادات فيه والعدل له والخضوع والإثبات إليه والطمأنينة به وغير ذلك من أعمال

القلوب التي فرضها: فرض من أعمال الجوارح **ومسحبها** أحب الى الله من مستحبها. وعمل الجوارح بدونها أما عديم المنفعة أو قليل المنفعة.

وأعمال الجوارح : كإلصاق الصلاة والجهاد ونقل الأقدام الى الجمعة والجماعة ومساعدة العاجز . والإحسان إلى الخلق ونحو ذلك. (١٢)

إما باعتبار المتوجه بها إليه : فمن توجه بعبادته لله تعالى كانت هذه العبادة توحيداً، ومن توجه بها إلى غير الله كانت شرعاً فعن الثاني يقول الله عز وجل فيمن دعا غيره {ذلكم الله له الملك والذي تدعون من دونه ما يملون من قطير إن تدعوهم لا يسمعون دعائكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يفكرون بشرككم } (١٣) فدعائهم لغير الله عبادة لم وسماهم الله تعالى شركاً وهكذا على العبادة من صلاة وصيام وزكاة وحج وغير ذلك إذا توجه بها صاحبها إلى الله كان ذلك توحيداً وإذا صرفها إلى غير الله تعالى كانت شركاً.

أركان العبادة وشرطها: الخضوع والذل وكمال المحبة

الركن الأول : هو كمال الخضوع والذل

وهو أن يستكين العبد لله تعالى يخضع له ويذل. الذل له أربع مراتب كما ذكر ابن القيم.

المرتبة الأولى : مشتركة بين الخلق وهي ذل الحاجة والفقر على الله تعالى فأهل السموات والأرض جميعاً محتاجون إليه وهو وحده الغني عنهم وكل أهل السموات والأرض يسألونه وهو لا يسأل أحداً.

المرتبة الثانية : ذل الطاعة والعبودية وهو ذل الاختيار خاص بأهل طاعته وهو سر العبودية.

المرتبة الثالثة : ذل المحبة فإن المحبة دليل بالذات وعلى قدر محبته له يكون ذلة.

المرتبة الرابعة : ذل المعصية والجنابة فإذا اجتمعت هذه المراتب الأربع : كان الذل لله والخضوع له أكمل وأتم

المرتبة الرابعة : ذل المعصية والجنابة فإذا اجتمعت هذه المراتب الأربع : كان الذل لله والخضوع له أكمل وأتم إذا يذل له خوفاً وخشية ومحبة وإنابة وطاعة وفقر وافتاقة.

وأما ركن الثاني : وهو كمال المحبة فإن الذي يدل على اعتبار كمال الحب مع كمال الذل هو أن أصل التأله : التعبد وهو كما يقول ابن القيم التعبد آخر مراتب الحب تقيّل عبده الحب وتيممه إذا ملكه وذلك لمحبوته. (١٤)

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : والعبادة تجمع كمال المحبة وكمال الذل فالعادة محبة خاضع بخلاف من يحب من لا يخضع له بل يحبه ليتوسل به إلى محب وب آخر وبخلاف من يخضع من لا يحبه كما يخضع للظالم فإن كلا هذين ليس عبادة محضة. (١٥)

ومما يدل على إن هذا الحب ركن لا بد منه قول الله تعالى {ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله} (١٦)

قال ابن القيم : فأحذر أن من أحب من دون الله شيئاً كما يحب الله تعالى فهو ممن اتخذ من دون الله أندادا. فهذا ندئى المحبة لا في الخلق والربوبية فأن أحدا من الأرض ليثبت هذا الندى الربوبية بخلاف ند المحبة.

ويوضح شيخ الإسلام ابن تيمية حقيقة حب الله وما يحب الله فيقول وكل ما أمر الله أن يحب ويعظم فإنما محبته وتعظيمه الله فالله هو المحبوب المعظم في المحبة والتعظيم والمقصود المستقر الذي اليه المنتهى وإما سوى ذلك فيحب لاجل الله أي لأجل محبة العبد لله يح ما أحبه فمن تمام محبة شيء محبة محبوب المحبوب وبغض بغضه ويشهد لهذا الحديث أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله. (١٧) (١٨)

وشرط صحة المحبة : المتابعة التي لا بد فيها من الصدق والإخلاص ومما يدل على أن اتباع أمر المحبوب واجتناب نهيه لازم المحبة قول الله تعالى {قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله} (١٩) فجعل الله اتباعهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم علامة على صدق محبتهم الله وجعل حبه لهم مشروطا باتباعهم له . فعلم بهذا استحالة ثبوت محبتهم الله وثبوت محبة الله لهم بدون المتابعة للرسول صلى الله عليه وسلم وهذا يدل على أن المحبة مستلزم للمتابعة. (٢٠)

فإن لم تتحقق المتابعة والطاعة يكون هدى المحبة كاذبا في دعوة محبة الله ويكون من الكافرين وهذا المعنى هو ما قرره الآية التي تلى التي تقدم ذكرها وهي قول الله تعالى : {قل اطيعوا الله والرسول فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين} (٢١)

الهوامش :

١ . سورة النحل ٣٦

٢ . سورة الأنبياء ٢٥

٣ . سورة الأعراف ٧٣

- ٤ . البخاري ٣٩٢
- ٥ . سورة العنكبوت ١٦
- ٦ . سورة الزمر ١١
- ٧ . مفردات ألفاظ القرآن ص ٥٤٢ نقلا من منهج أهل السنة والجماعة
- ٨ . لسان العرب ج ٣ ص ٣٣٢ مادة ((عبد))
- ٩ . لسان العرب ج ٣ ص ٣٣٣ مادة ((عبد))
- ١٠ . سورة مريم ٨٨ - ٩٣
- ١١ . سورة الزخرف ٦٨
- ١٢ . سورة الزمر ١٧ - ١٨
- ١٣ . مدارج السالكين ج ١ ص ٢٠٥ - ٣٠٧
- ١٤ . سورة الفاطر ١٣ - ١٤
- ١٥ . مدارج السالكين ج ١ ص ٣٢٤
- ١٦ . مدارج السالكين ج ٣ ص ٢٨
- ١٧ . قاعدة في المحبة ضمن جامع الرسائل ج ٢ ٢٨٤ نقلا من منهج أهل السنة والجماعة
- ١٨ . البقرة ١٦٥
- ١٩ . مصنف ابن أبي شيبة ج ١٥ ص ٣١٠٨٣ من منهج أهل السنة والجماعة
- ٢٠ . قاعدة في المحبة ضمن جامع الرسائل نقلا من منهج أهل السنة والجماعة
- ٢١ . سورة آل عمران ٣١

الفصل الثالث : منهج الأشاعرة في ادلة توحيد الألوهية

المسألة الثانية :

تعريف كلمة آله

تعريف كلمة آلة عند الأشاعرة فإنه قد عرف كثير من الأشعرية كلمة اله بأنه القادر على الإخ تراع. فمن ذلك ما نسبته البغدادي الى ابي الحسن الأشعري فقال: ((واختلف اصحابنا في معنى الاله : فمنهم من قال انه مشتق من الالهية . وهى : قدرته على اختراع الاعيان . وهو اختيار ابي الحسن الأشعري)) (١)

وقد حكى هذا القول الرازى ذاكرا لدليله دون ان يسمى قائله فقال فى صدر حكاية مذاهب الناس فى اصل اشتقاق اسم الله تعالى الله قال : الاله من مت له الالهية وهى القدرة على اختراع والدليل عليه لأن فرعون لما قال ((ما رب العالمين)) قال موسى عليه السلام فى الجواب ((رب السماوات والأرض)) (٢) فذكر فى الجواب عن السؤال الطالب لماهية الاله : القدرة على الاختراع ولو لا أن حقيقة الالهية هى القدرة على اختراع لم يكن هذا الجواب مطابقا لذلك السؤال . والجواب :

أن فرعون كان متظاهرا بانكار وجود الله بل كان يدعى أنه رب العالمين بقوله : ((انا ربكم الأعلى)) (٣) وقال الله تعالى: ((فاستخف قومه فاطاعوه)) (٤) وقال الله تعالى : ((فاطلع الى اله موسى وانى لأظنه كاذبا)) (٥) ولذلك كان سؤاله بقوله ما رب العالمين سؤالاً عن وصف الرب تعالى وليس سؤال عن الماهية . اذ السؤال عن ماهية الشئ فرع الاقرار به . وهو لا يقر بالله متظاهرا فمن لم يقر بشئ لا يسأل عن ماهية .

ولذلك فان فرعون لم يكن سأل عن حقيقة الالهية وانما سأل عن وصف الرب يتظاهر بانكاره . ويوضح هذا آية اخرى وهى قال الله : ((فمن ربكما يا موسى)) (٦) ومعلوم أن من لا يسأل بها عن ماهية الشئ وحقيقته وانما حقيقة معنى الالهية هى : استحقاق الله للعبادة بما له من صفات الكمال وتنزهه عن صفات النقص .

أنه لو كان معنى اله : القادر على اختراع كان معنى لا اله إلا الله . لا خالق إلا الله ولا قادر على اختراع إلا هو : وهذا المعنى كان يقول به المشركون ولذلك يحتج الله عليهم بمعرفتهم هذه بقوله ((فلا تجعلوا لله اندادا وانتم تعلمون)) (٧) اى تعلمون أنه لا رب لكم غيره .

المطلب الاول : المسألة الاولى :

تقرير توحيد الالهية بالادلة النقلية فقط

ومن المعلوم أن الأشاعرة ترى أن الدليل المعتمد فى هذه المسألة هو الدليل النقلى فقط بمعنى أن العقل لا يعلم به حسن توحيد العبادة . وسبب هذه الطريقة امران :

• أن العقل ليس له مدخل في التحسين والتقبيح .

• وهو أن العذاب على مخالفة التوحيد في العبادة لا يثبت إلا بعد اقامة الحجة الرسالة فاجاب عنه العلماء :

• أن للعقل مدخلا في معرفة حسن التوحيد وقبح الشرك وذلك للدلالة التي تقدمت في تقرير الله تعالى للمشر كين باثباتهم الربوبية ليثبتوا له الالهوية فلو لم تكن ذك بعلم بالعقل لما قرره ولا يكفى بأمرهم بالتوحيد ونهيهم عن الشرك.

• واما مسألة ترتيب العقاب والعذاب على ترك التوحيد فهذا حقا لا يثبت إلا بعد قيام الحجة الرسالية لعموم قوله تعالى : ((وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا)) (٧) وقد يفهم من ضيع التفتازي بايراده الآية ((وما اصرؤا)) ان الامر منحصر في الامر بالتوحيد والنهي عن الشرك دون أن يكون للعقل مدخل في معرفة حسن التوحيد وقبح الشرك .

وجوابا عليه ان نقول : ان الآية لا تدل على ذلك باي نوع من انواع الدلالات محيف وقد قام الدليل على خلافه فمن ذلك قوله ((ضرب لكم مثلا لامن انفسكم)) فالمثل المضروب قياس عقلي - وهو قياس الاولى - ثم ختمه بقوله ((لقوم يعقلون)) فهذا يؤكد ان للعقل مدخلا في معرفة حسن التوحيد وقبح الشرك . ويبدو ان موقف الرازي افضل من هذا بكثير اذ هو يرى ان العقل يشهد بان العبادة فهي نهاية التعظيم لا تليق إلا بمد له نهاية الانعام والاحسان وهذا هو تحسين العقل فقا: ولما كان البارئ سبحانه من المعبود في الحقيقة لا جرم سمي الها وكيف لا يقال : انه مستحق للعبادة وقد بين انه هو المنعم على جميع خلقه بوج ود الانعامات والعبادة غاية التعظيم . والعقل يشهد بان غاية التعظيم لا يليق إلا بمن صدر عنه غاية الانعام والاحسان . واليه الاشارة بقوله كيف تكفرون بالله)) الى ان قال انه تعالى انما استحق ان يكون معبودا للخلق لأنه خالقهم ومالكهم وللمالك ان يأمر وينهى وأيضا اضاف نعمه على العبد خارجة عن احد والاحصاء كما قال تعالى : وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها)) وشكر النعمة واجب .

المطلب الثاني : أدلة عقلية سلكها المتأخرون لتبرير بعض انواع الشرك

القياس الاول : قياس الميت على الحي في الطلب منه والاستغاثة

عقد النبهاني في كتابه شواهد الحق عدة فصول لإثبات دعواه في جواز الإستغاثة برسول الله - مطلقا حيا وميتا وفي اي امر من الامور - فعقد الفصل الاول وسرد ادلة فيها طلب الصحابة منه ان يدعوا الله لهم بالسقيا وسماء هو استغاثة . ثم انه في الفصل الثاني سرد احاديث الشفاعة ليثبت جواز الإستغاثة به في الآخرة . ثم قال مستدلا على جوازها مطلقا : ودلالة ذلك على جواز الإستغاثة به وحسنها ونفعها بعد مماته ايضا لوقوعها في حياته الدنيوية والأخروية . (٨)

الجواب :

ان الميت لا يسأل ان مطلقا ولا يستغاث به واما الحي فيستغاث به فيما يقدر عليه . وعليه فلو سلم لهم قياسهم هذا لصح لهم الاستدلال به على سؤال الموتى كل شيء . فان كان المخلوق حيا لا يستطيعه فقياسهم يقتضى ألا يستطيعه ميتا.

● ان الصواب هو عدم صحة قياس حياة البرزخ على الحياة الدنيا لإختلافهم ولو لستقام ذلك فليتخذوا الرسول صلى الله عليه وسلم اماما يقتدى به في الصلاة او ليستفتوه في المسائل .

القياس الثاني: قياس الوساطة في العبادة على الوساطة في تبليغ الرسالة :

قالوا : ((إن مراعات جانب الله تعالى والمحافظة على توحيده انما تكون بتعظيم من عظمه الله وتحقير من حقره الله . وقد جعلهم الله سبحانه تعالى وسائط لنا في تبليغ شرائع دينه . فوسطناهم له عز وجل لقضاء حوائجنا تبعا له في توسيطهم لنا في تبليغ شرائعه . والاحتفاظ لأنفسنا عن ان نكون اهلا لطلب حوائجنا منه سبحانه وتعالى بلا واسطة لكثرة ذنوبنا ووفرة عيوبنا))(٩)

الجواب :

ان هذا القياس هو قياس عن الاصنام والاولثان وغيرها نفسه الذين زعموا ان ذنوبهم كثيرة وانهم لا يصلون نالى مرادهم إلا بتوسط الاكابر والاعلى منزلة عند الله . قال الله تعالى : ((والذين اتخذوا من دونه اولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا الى الله زلفى))(١٠)

وقياسهم هذا فاسد اذ هو قياس في مقابلة نصوص كثرة حرمت هذا العمل وبيئت ان فعل امشركين كقوله تعالى ((ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله . قل اتنبؤون الله بما لا يعلم في السماوات ولا في الارض سبحانه وتعالى عما يشركون))(١١) فدللت الآية على أن اتخاذ وسطاء في الدعاء والعبادة قدح في علم الله تعالى وانه شرك يتنزه الله عنه . وقال : ((افمن هو قائم على كل نفس بما كسبت وجعلوا لله شركاء . قل سموهم ام تنبؤونه بما لا يعلم في الارض ام بظاهر من القول))(١٢) فدللت الآية على ان هذا العمل فيه قدح في الربوبية اذ فيه اثبات لقيام غير الله بشؤون الخلق . وفيها بيان انه قدح في علم الله .

الهوامش :

١. أصول الديان للبغدادى ص ١٢٣

٢. النبأ ص ٣٧

٣. النازعات ٢٤

٤. الزخرف ٥٤

٥. المؤمن ٣٧

٦. طه ٤٩

٧. البقرة ٢٢

٨. شواهد الحق ص ١٢٦ نقلا من منهج اهل السنة والجماعة

٩. شواهد الحق ص ٥٢ نقلا من منهج اهل السنة والجماعة

١٠. الزمر ٣

١١. يونس ١٨

١٢. الرعد ٣٣

الفصل الرابع

المبحث الاول : منهج اهل السنة والجماعة في مسائل توحيد الربوبية

المطلب الاول : حقيقة توحيد الربوبية

المسألة الاولى : معنى كلمة الرب لغة واصطلاحاً

الرب في الاصل : مصدر . رب يرب بمعنى نشأ الشيء من حال الى حال التمام . يقال : ربه ورباه ورببه . فلفظ (رب) مصدر مستعار للفاعل ، ولا يقال : (الرب) بالاطلاق إلا الله تعالى المتكفل بما يصلح الموجودات . نحو قوله ((رب العالمين)) ((ربكم ورب آبائكم الاولين)) (١)

فالرب مصدر اريد به اسم الفاعل : اى انه راب ، قال الراغب الاصفهاني : ((الرب مصدر مستعار للفاعل)) (٢)

قال ابن الانباري ك الرب ينقسم اى ثلاثة اقسام : يكون الوب : المالك ويكون الرب : السيد المطاع والرب المصاح فهذه ثلاثة اصول ترجع اليها معاني كلمة الرب (٣)

والاصل الاول : بمعنى المالك والصاحب . ومن هذا المعنى قول الرسول الله في ضالة الابل ((فذرهما حتى يلقاها ربها)) (٤)

والاصل الثاني : بمعنى السيد المطاع . قال الطبري واماتأويل قوله ((رب فان الرب كلام العرب متصرف على معاني : فالسيد المطاع فيها يدعى ربا ، ومن ذلك قول لبيد بن ربيعة العامري :

واهلكن يوما رب عنده وابنه ورب معد بيق خبت وععر (٥)

يعنى رب عنده : سيف عنده

ومن هذا المعنى قول الرسول صلى الله عليه وسلم في حديث اشراط الساعة ((ان تلد الامة ربتها)) (٦) اى سيدها - وهذا لفظ البخاري .

واما الاصل الثالث : فبمعنى المصلح للشيء المدبر له . ولذلك قال بعض اهل العلم باشتقاق كلمة الرب من التربية . قال الر اغب (الرب فى الاصل التربية وهو انشاء الشيء حالا فحالا الى حد التمام . (٧)

وقال الطبري بعد ان ذكر المعاني الثلاثة لكلمة (الرب) قال : ((وقد يتصرف معنى الرب فى وجوده غير ذلك غير انها تعود الى بعض هذه الوجوه الثلاثة . (٨)

المسألة الثانية: مدلول كلمة الرب من حيث هى اسم الله

الرب فى الاصل : مصدر رب يرب بمعنى نشأ الشيء من حال الى حال التمام . يقال : ربه ورباه وربيه : فلفظ (رب) مصدر مستعار للفاعل ولا يقال : (الرب) بالاطلاق إلا الله تعالى المتكفل بما يصلح الموجودات نحو قوله (رب العالمين) ربكم ورب آبائكم الاولين) ولا يقال لغيره إلا مضافا محدودا كما يقال ك رب الدار ، ورب الفرس ، يعنى صاحبها ، ومنه قوله تعالى حكاية عن يوسف عليه السلام ((اذكرنى عند ربك فانساه الشيطان ذكر ربه)) (٩) وقوله تعالى ((قال ارجع الى ربك)) (١٠) وقوله ((اما احكما فيسقي ربه خمرا)) (١١) وقال رسول الله فى ضالة الابل ((حتى يجد ربها)) قال ابن قتيبة رحمه الله ولا يقال للمخلوق : هذا ((الرب)) معرفا بالالف واللام كما يقال لله . انما يقال رب كذا فيعرف بالاضافة لأن الله مالك كل شئ . فاذا قيل : ((الرب)) دلت الالف واللام على معنى العموم واذا قيل لمخلوق : رب كذا ورب كذا نسب الى شئ خاص لأنه لا يملك شيئا غيره .

قال الراغب ان كلمة (الرب) غير مضافة ولا معرفة ولا تطلق إلا على الله فقال : ((ولا يقال الرب مطاقا إلا الله تعالى المتكفل بمصلحة الموجودات نحو قوله تعالى ((بلدة طيبة ورب غفور)) (١٢) وقال ابن اثير ((ولا يطلق غير مضاف إلا على الله))

واما كلمة رببالاضافة فقال الله ولغيره بحسب الاضافة فمن الاول قوله تعالى ((الحمد لله رب العالمين)) ومن الثانى ((اذكرنى عند ربك فانسراه)) فى قول يوسف عليه السلام ((احد صاحبيه فى السجن))

ومصدر رب يرب الربوبية والربابية إلا ان الربابة لا تقال فى الله وانما فى غيره . قال الراغب ((والربوبية ليقال فى الله عز وجل والربابة تقال فى غيره وانه لا يجوز وصف مخلوق به إلا مقيدا بالاضافة التى تناسبه .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية (الرب : هو الذى يرى عنده فيعطيه خلقه ثم يهديه الى جميع احواله من العبادة وغيرها وقال فى موضع آخر : الرب : هو المربى الخالق الرازق الناصر الهادى ، وهذا الاسم احق بالاستعانة والمسألة (١٣)

المسألة الثالثة : تعريف توحيد الربوبية

كلمة التوحيد مضاف اليها كلمة الربوبية التى هى مصدر لكلمة رب التى تقدم معناها . وعلى هذا فتعريف توحيد الربوبية كما قال الشيخ محمد بشير السهسوانى : اعتقادات الله وحده هو ربنا ليس لنا رب سواه ((

وقال الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب رحمه الله فى تعريفه ((هو الاقربان الله رب كل شئ ومالكة وخالقه ورازقه وانه المحى المميت النافع المتفرد باجابة الدعاء عند اضطراره الذى به الامر كله ويبيده الخير كله . القادر على ما يشاء ليس له فى ذلك شريك ، ويدخل فى ذلك الايمان بالقدر))

وسياتى تعريف اخصر من هذا ان شاء الله .

فالرب هو المالك كما فى قوله تعالى ((هو الله الذى لا اله الا هو الملك)) (١٤) ويقول ((ولله ملك السموات والارض وما بينهما)) وقال فسبحان الذى بيده ملكوت كل شئ واليه ترجعون ((

والرب هو الخالق البارئ المصور كما قال تعالى عن نفسه ((هو الله الخالق البارئ المصور)) (١٥) فلا خالق سواه وهو الذى برأ الخلق فاجدهم بقدرته المصور خلقه كيف شاء وكيف يشاء .

والرب هو المبدئ والمعيد كما قال : ((وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده)) (١٦) فهو الذى ابتداء الاشياء كلها فاجدها وهو الاول الذى ليس قبله شئ . ثم هو يعيدها سبحانه .

والرب هو المحيى والمميت الذى احيى الخلق بان خلق فيهم الحياة. والذى خلق الموت كما خلق الحياة كما فى قوله تعالى ((الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم ايكم احسن عملا)) (١٧) ويقول ((لا اله الا هو يحيى ويميت ربكم ورب آبائكم الاولين))

والرب هو النافع الضار قال تعالى ((واذا اذقنا الناس رحمة من بعد ضراء مستهم اذا لهم مكر في آياتنا)) (١٨) وقال ((قل فمن يملك لكم من الله شيئا ان اراد بكم ضرا او اراد بكم نفعا)) (١٩)

والرب هو المعطى المانع كما قال تعالى ((ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك له ا وما يمسك فلا مرسل له من بعده)) (٢٠)

وقال الرسول صلى الله عليه وسلم في دعائه بعد الفراغ من الصلاة : اللهم لا مانع لما اعطيت و لا معطى لما منعت (((٢١)

والرب هو اللمدبر لأمر هذا الكون قال الله ((ثم استوى على العرش يدبر الامر)) (٢٢) وقال ((ومن يدبر الامر فسيقولون الله)) وقال ((يدبر الامر يفصل الآيات لعلكم بقاء ربكم توقنون)) (٢٣)

والرب هو الخالق الرازق القوي القدير كما قال تعالى ((قل الله خالق كل شيء)) وقال ((هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والارض)) وقال ((ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين)) (٢٤) وقال تعالى ((ان الله على كل شيء قدير)) ويمكن تعريف تو حيد الربوبية بكلام اخضر فيقال : هو افراد الله تعالى بالخلق والحكم))

قال الزجاجي : والخلق الفعل وافعال الله عز وجل مقدرة على مقدارها ما قدرها عليه ((

قال ابن جرير رحمه الله في معنى الآية : يقول : ما القضاء والحكم إلا لله دون ما سواه من الاشياء فانه يحكم في خلقه بما يشاء فينفذ فيهم حكمه . ويقضى فيهم ولا يرد قضاءه .

المبحث الثاني : منهج اهل السنة والجماعة في أدلة اثبات الربوبية.

المطلب الاول : الأدلة الدالة على الربوبية

وهي العلامات المخلوقة المحكمة الإتيان فدالاتها من جهة انها مخلوقة محدثة . ومن جهة احكامها واتقانها قال الله تعالى : ((وفي الارض آيات للموقنين ، وفي انفسكم أفلا تبصرون))(٢٥) وهكذا اذا نظر الانسان في امر هذا العالم وما فيه من السير الدقيق المنظر البديع فانه يحصل له العلم بان له خالقا خلقه بعلم وحكمة والآيات في هذا المقام كثيرة منها:

قوله تعالى : ((الله الذى خلق السموات والارض وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك لتجرى فى البحر بامره وسخر لكم الانهار وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار))(٢٦) قال الحافظ ابن رجب ((واخبر سبحانه انما خلق السموات والارض ونزل الامر لتعلم بذلك قدرته وعلمه فيكون دليلا على معرفة صفاته كما قال تعالى ((الله الذى خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن لتعلموا ان الله على كل شىء قدير . وان الله قد احاط بكل شىء علما))(٢٧)

انواع الأدلة على اثبات الربوبية

والاقرار بوجود الله وان كان فطريا ضروريا إلا انه يمكن اقامة الادلة عليه وهى كثيرة ومتنوعة . ولا يلزم أن تكون واحدة وعقلية فحسب .

المسألة الاولى : دليل الفطرة

الفطرة فى اللغة : فعلها ثلاثي وهو فطر والحالة منه : الفطرة كالجلسة وهى بمعنى الخلقة .

قال ابن فارس عن اصل هذه الكلمة ((.....اصل صحيح يدل على فتح شىء وابرزه . ومنه الفطرة : هى الخلقة))(٢٨) (

وفى اللسان : او الفطرة تعنى : الابتداء والاختراع

والامر ظاهر فى انه لا خلاف بين هذه المعاني الثلاثة : الخلقة . والابتداء والاختراع .(٢٩)

وقال الشيخ السعدى رحمه الله في تعريفها ((هى الخلقة التى خلق الله عباده عليها وجعلهم مفطورين عليها وعلى محبة الخير وإيثاره وكراهية الشر ودفعه . وفطرهم حنفاء مستعدين لقبول الخير والاخلاص لله والتقرب اليه))(٣٠) والدليل اذا كان راسخا فى النفس يكونه قويا لا يحتاج الشخص معه الى الاستدلال ولهذا فهو اصل لكل الأدلة الاخرى الدالة على الاقرار بوجود الرب فهى مؤيدة ومثبتة للاقرار .

فان بنى آدم جميعا يشعرون بحاجتهم وفقدهم . وهذه الشعور امر ضروري فطرى اذ الفقر وصف ذاتي لهم فاذا امت بالانسان - حتى المشرك معصية قد تؤدي به الى الهلاك فزع الى خالقه سبحانه والتجأ اليه وحده واستغنى به ولم يستغنى عنه او شعور هذا الانسان بحاجته وفقره الى ربه تابع لشعوره بوجوده واقاراه . فانه لا يتصور ان يشعر الانسان بحاجته وفقره الى خالقه إلا اذا شعر بوجوده واذا كان شعوره بحاجته وفقره الى ربه امرا ضروريا لا يمكنه دفعه فشعوره بالاقرار به اولى ان يكون ضروريا ((٣١)

قال الله تعالى: ((واذا مس الانسان ضر دعانا لجنبه او قاعدا او قائما فلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم نجعلنا الى ضره مسه كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون))(٣٢) وقال ايضا ((واذامسكم الضر فى البحر ضل من تدعون إلا اياه فلما نجاكم الى البر اعرضتم وكان الانسان كفورا))(٣٣) وقال تعالى واذا مس الانسان ضر دعا ربه منيبا اليه ثم اذا حوله نعمة منه نسى ما كان يدعوا اليه من قبل وجعل الله اندادا ليضل عن سبيله قل تمتع بكفرك قليلا انك من اصحاب النار ((٣٤)

فرجوع الانسان وانابته الى ربه عند الشدائد دليل على انه يقر بفطرته بخالقه وربيه . وهكذا كل انسان اذا رجع الى نفسه أدنى رجوع عرف افتقاره الى البارئ لو لم يكن الاقرار بالله وبربوبيته فطريا لدعاهم اليه اولا اذ الامر بتوحيده فى عبادته فرع الاقرار به وبربوبيته فيكون بعده.

لو لم يكن الاقرار بالله وبربوبيته فطريا لساغ لمعارض الرسل عند دعوتهم لهم بقول الله ((فاعبدون)) ان يقولوا : نحن لن نعرفه اصلا فكيف يأمرنا فلما لم يحدث ذلك دل على ان المعرفة كانت مستقرة فى فطرتهم .

ولم يعرف من ينكر وجوده من اقوام الرسل الا ما كان من فرعون ومع هذا فانكاره كان تظاهرا ولم يكن باطنا كما قال تعالى ((لقد علمت ما انزل هؤلاء إلا رب السموات والارض بصائر))(٣٥) وقال أيضا ((وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا))(٣٦)

ان المشركين لو لم يكونوا مقربين برؤية الله لما قرره به ولهذا كانت تقول الرسل لقومها ((افى الله شك فاطر السموات والارض يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم الى اجل مسمى))(٣٧)

قال شيخ الاسلام ابن تيمية (فدل ذلك على انه ليس في الله شك عند الخلق المخاطبين : وهذا يبين انه مفسطورون على الاقرار)) (٣٨)

قال رسول الله ((ما من مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه او يمجسانه او ينصرانه)) (٣٩) والصواب ان الفطرة هنا هي فطرة الاسلام وهي السلامة من الاعتقادات الباطلة والقبول للعقائد الصحيحة وليس المراد ان الانسان حين يخرج من بطن امه يعلم هذا الدين موحدًا لله فان الله يقول: ((والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئًا)) (٤٠) وانما المراد ان فطرته مقتضية وموجبة لدين الاسلام ولمعرفة الخالق والاقرار به ومحبه .

ان الصحابة فهموا من الحديث ان المراد بالفطرة : الاسلام ولذلك سألوا الرسول صلى الله عليه وسلم عقب ذلك عن اطفال المشركين لوجود ما يغير تلك الفطرة السليمة وإلا لما سألوا عنهم فان ابا هريرة رضى الله عنه تلا قوله ((فطرة الله التي فطر الناس عليها)) (٤١) عقب هذا الحديث : مما يدل انه فهم ان المراد من الفطرة : الاسلام .

قال رسول الله : فيم يرويه عن ربه : خلقت عبادى حنفاء كلهم فاجتالتهم الشياطين)) والحنيفة : الاسلام .

المسألة الثانية : دلالات بعثة الأنبياء وآياتهم على وجود الله

هذه الطريقة قد تبدو غريبة خاصة على علماء الكلام وقد سلك بعض علماء هذه الطريقة كالقاضى ابي ي على فى كتابه ((عيون النسايل)) وابي بكر البيهقى فى كتابه ((الاعتقاد)) وقال ابن القيم رحمه الله : ((وهذه الطريقة من اقوى الطرق

واصحها وادلها على الصانع وصفاته وافعاله . وارتباط ادلة هذه الطريق بمدلولاتها اقوى من ارتباط الأدلة العقلية الصريحة بمدلولاتها فانها جمعت بين دلالة الحس والعقل . ودلالاتها ضرورية بنفسها . ولذلك يسميها الله آيات بينات (((٤٢)

وبيان هذه الطريق من وجهين :

الوجه الاول : الآيات والبراهين :

بين الله تعالى في كتابه العزيز انه ارسل رسله بالوحى وايدهم بالايات تصديقا لهم فقال : ((لقد ارسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب)) (٤٣) وقال: ((وما ارسلنا من قبلك إلا رجالا نوحى اليهم فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون * بالبينات والذير)) (٤٤) وقال الرسول صلى الله عليه وسلم ((ما من الانبياء من نبي الا اعطى من الآيات ما مثله آمن عليه البشر . وانم كان الذى اوتيته وحيا او حاه الله الي فارجو ان اكون اكثرهم تابعا يوم القيامة)) (٤٥) وسماها الله برهانا كذلك : فقال عن ابي العصا واليد اللتين ارسل بهما موسى عليه السلام : ((فذانك برهانان من ربك الى فرعون وملئه فسمها الله اية وبرهاننا وبينه . وذلك لقوة دلالتها على المطلوب وانه بمجرد حدوثها يحصل العلم الضروري .

فاذا جاء الرسول بأية وهى العلامة التى تدل على صدقه تثبت الرسالة وكذلك الربوبية ضمنا . وذلك لأنها حدثت من جنس لا يقدر على مثله البشر وحصلت عند دعوى الرسول الرسالة . كيف واذا انضم الى ذلك ما عرف من اح وال الانبياء وصدقهم وما حصل لهم ولأتباعهم من التأويل والنصر وللأعدائهم الهلاك والخسران .

فتقرر من هذا النص يمكن اثبات ربوبية الله ووجوده بالايات المعجزات وان لم يكن المخاطب مقرا بذلك ومن ثم يقوم لله بالعبادة واما ان كان المخاطب مقرا بوجود الله بفطرته التى لم تتغير فانه بالاية والمعجزة تتقرر عنده النبوة والوحدانية الالهية كما قال الله تعالى ((ام يقولون افتراه ، قل فاتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين * فان لم يستجيبوا لكم فاعلموا انما انزل بعلم الله وان لا اله الا هو فهل انتم مسلمون)) (٤٦) فهذا نص صريح على انه بالاية تثبت وتقرر الرسالة والوحدانية ضرورة . ومعلوم ان توحيد الالهية متضمن لتوحيد الربوبية . فاذا ثبت الاول ثبت الثانى تضمنا ضرورة ثبوت المتضمن بثبوت المتضمن . فثبت انه يمكن اثبات الربوبية بايات الانبياء .

الوجه الثانى : العلوم :

فالرس جميعا اتفقوا على الاخبار باشيء معينة يقطع المرء بانهم لم يتواطئوا عليها : دعوتهم جميعا الى عبادة اله واحد . والرسل جميعا اخبروا باخبار الامم الماضية مع القطع بانه كان يعيش فى امة امية .

وكذلك قد اخبر بامور تحصل فى المستقبل . وقد حصلت منها ما هو فى القرآن وما هو فى السنة فمما ورد فى القرآن : ((الم غلبت الروم * فى ادنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون * فى بضع سنين)) (٤٧) فكان كما اخبر ومما ورد فى السنة

((اذا هلك كسرى فلا كسرى بعده))(٤٨) وقوله ((خلافة النبوة ثلاثون سنة ثم يؤتى الله مكنه من يشاء))(٤٩) وكانت خلافة ابي بكر سنت

الآيات هي العلامة والفرق ب

والاستدلال بالآيات يمكن الاستدلال به بما حدث بين موسى وهارون عليهم السلام وبين فرعون الذى انكر ان يوجد رب غيره ولما بينا له انهما رسولا رب العالمين رد فرعون بقوله ((وما رب العالمين)) فلحاح موسى بايات الله ((رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين))(٥٠) الى بقية الآية ومنها قوله : رب المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون ((فعلق شيخ الاسلام ابن تيمية بقوله ان كنتم موقنين اطلق اليقين ولم يقيده بشيئ . فإى يقين كان لكم بشيئ من الاشياء . فاول اليقين : اليقين بهذا الرب كما قالت الرسل لقومهم : افى الله شك فاطر السموات والارض)) ولما وصفوا موسى بالجنون بين لهم انهم احق بهذا الوصف فقال : ان كنتم تعقلون . والآيات فى القرآن وان كانت قد سقت لإثبات تفرد الله بالالهية واثبات البعث إلا انه يمكن الاستفادة منها لإثبات وجود الله لأنه لا بد لكل حادث من محدث .

قال الامام ابن جرير الطبري فى تفسيره : ان فى خلق السموات والارض)) الآية فقال : والصواب من القول فى ذلك ان الله ذكره نبه عباده على الدلالة على وحدانيته وتفرده بالالهية دون كل ما سواه من الاشياء بهذه الاشياء)) فان الله انما حاج بذلك قوما كانوا مقرين بان الله خالقهم غير انهم يشركون فى عبادة عبادة الاصنام والاولثان فحاجهم تعالى ذكره الى ان قال : واللذين ذكروا بهذه البية واحتج عليهم بها هم القوم الذين وصف صفتهم دون المعطلة والدهرية وان كان فى الصغر ما عد الله فى هذه الآية من الحجج البالغة المقنع لجميع الانام .

وقال الامام ابو الشيخ بن حيان الاصبهاني ذكر نوع من التفكير فى عظمة الله عز وجل ووحدانيته وحكمه وتدبره وسلطانه قال : ((وفى انفسكم افلا تبصرون)) فاذا تفكر العبد فى ذلك استنارت له آيات الربوبية وسطعت له انوار اليقين واضمحلت عنه غمرات الشك وظلمة الريب))

وقد نبه الحافظ ابن كثير على ان المراد من الاستدلال بالآيات هو اثبات وحدانية فى الالهية — ثم افاد بها بانها دالة على الوحدانية فى الربوبية بطريق الاولى فقال : فى تفسير قوله تعالى : ((الذى جعل لكم الارض فراشا)) وهذه الآية دالة على توحيده تعالى بالعبادة وحده لا شريك له . وقد استدلل بها كثير من المفسرين كالرازي وغيره على وجود الصانع وهى دالة على ذلك بطريق الاولى .

المقاييس العقلية

وهذه المقاييس العقلية قد تنفع من ينفى وجود الله ويقول انه معدوم . فيقال له:

من المعلوم بضرورة العقل والملاحظة وجود موجودات . ومن المعلوم ان من هذه الموجودات ما هو حادث بعد ان لم يكن . فاننا نشاهد حدوث السحاب والمطر والشجر والانسان وغير ذلك .

ثم يقال هذه المحدثات اما ان تكون وجدت من عدم او من محدث له . والاول ظاهر البطلان اذ العدم ليس بشيء حتى يوجد غيره واما الثاني وهو المحدث الذي أحدثها فاما ان تكون هو نفسها اى انها هى التى أحدثت انفسها وهو ظاهر البطلان بالضرورة العقلية واما ان يكون المحدث محدثا لمحدث آخر وهذا الاخير لمحدث آخر الى غير غاية واما ان يكون هذا المحدث واجب الوجود بنفسه والاول باطل اى هذا التسلسل بالضرورة العقلية ويبينه ان المحدث الواحد لا يحدث إلا بمحدث فاذا كثرت الحوادث وتسلسلت كان احتياجها الى المحدث اولى وكلها محدثات فكلها محتاجة الى محدث ولا ينقطع هذا إلا بمحدث لا يحتاج اليه بل هو قديم ازلي بنفسه سبحانه.

فانه قد بطل الاول وهو التسلسل - صح الثاني

وهو انه المحدث واجب الوجود بنفسه . وهذا الاستدلال يمكن ان يستنبط من قوله : ((ام خلقوا من غير شيء ام هم الخالقون)) (٥١) وفي هذا يقول شيخ الاسلام ابن تيمية ((وهذا التقسيم فى الآية تقسيم حاصر . ذكر الله بصيغة الاستفهام ليبين ان هذه المقدمات معلومة بالضرورة لا يمكن جحدها يقول : ام خلقوا من غير شيء ام هم الخالقون .

الهامش :

١ . الدخان ٨

٢ . المفردات للراغب ٢٣٧

٣ . لسان العرب ١/٤٦٧

٤ . رواه البخاري ٩١ كتاب العلم

٥ . شعرليبيدي ديوانه ص/٧١

٦ . البخاري كتاب الايمان ٥٠

٧ . المفردات ٣٣٦

٨ . جامع البيان ١/٦٢

٩ . يوسف ٤٢

١٠. يوسف ٥٠
١١. يوسف ٤١
١٢. رواه البخاري ٩١ كتاب العلم
١٣. سبأ ١٥
١٤. مجموع فتاوى لشيخ الاسلام ابن تيمية ٢٢/١
١٥. الحشر ٢٣
١٦. الحشر ٢٤
١٧. الروم ٢٧
١٨. الملك ٢
١٩. الدخان ٨
٢٠. يونس ٢١
٢١. الفتح ١١
٢٢. الفاطر ٢
٢٣. يونس ٣
٢٤. الرعد ٢
٢٥. الذاريات ٥٨
٢٦. الذاريات ٢٠
٢٧. ابراهيم ٣٢-٣٣
٢٨. الطلاق ١٢
٢٩. معجم مقاييس اللغة ٥١٠/٤

٣٠. النهاية في غريب الحديث ٤٠٩/٣
٣١. بهجة قلوب الأبرار ص ٦٤ نقلا من منهج أهل السنة والجماعة
٣٢. تعارض العقل والنقل ٨ / ٥٣٣-٥٣٢
٣٣. يونس ١٢
٣٤. بني إسرائيل ٦٧
٣٥. الزمر ٨
٣٦. بني إسرائيل ١٠٢
٣٧. النمل ١٤
٣٨. إبراهيم ١٠
٣٩. درء تعارض العقل والنقل ٨ / ٤٤١
٤٠. النحل ٦٨
٤١. الروم ٣٠
٤٢. الحديد ٢٥
٤٣. الصواعق المرسلة لأبن القيم ٣ / ١١٩٧
٤٤. النحل ٤٣
٤٥. رواه البخاري ٤٩٨١ كتاب فضائل القرآن
٤٦. هود ١٣
٤٧. الروم ١ - ٣
٤٨. رواه البخاري ٣٦١٨ كتاب المناقب
٤٩. رواه ابوداود ٤٦٢٢

٥٠. الشعراء ٢٤

٥١. الشعراء ٢٨

الفصل الخامس:

منهج الأشاعرة في توحيد الربوبية

المبحث الاول : منهج الأشاعرة في مسائل توحيد الربوبية

فان الأشاعرة اصطلاحوا على تسمية هذا التوحيد بتوحيد الذات والافعال فانهم يثبتون وحدانية في الذات والصفات والافعال فقالوا: عن وحدانية الذات انها تنفى عن الذات ((تركيبها من اجزاءوتعددتها بحيث يكون هناك اله ثان فاكتر)) فهذا ما تنفيه وحدانية الذات . قالوا : ((ووحدة الافعال بمعنى : انه لا تأثير لغيره في فعا من إلا فعال)) فيستحيل ان يكون لغير الله فعل من الافعال على وجه الالحاد .

وقد وضع مقصودهم بتوحيد الذات والافعال إلا ان تعبيرهم بكلمة ((لا تأثير) فيه شئ من الاجمال ومبالغة وكذلك تعبيرهم بكلمة (تركيبها من اجزاء) فيه اجمال متضمن لباطل وحق . فلزم الاستفصال فنفيهم للصفات الذاتية كالوجه واليدن -بدعوى التركيب - نفى باطل لأنه معارض لأدلة من الكتاب والسنة تثبتها ولا يجوز ان يقال في ما ثبت لله بالادلة من الصفات انه تركيب واما نفيهم لأن يكون الله متركبا من اجزاء منفردة او يقبل التقسيم والتفريق المستلزمين للحاجة والافتقار فهذا نفى صحيح اذ يجب نفى هذه الامور عن الله . اذ هو الحى الفيوم الغنى بذاته عمن سواه .

المسألة الثانية : منعهم قيام الافعال الاختيارية

وهى الامور التى يتصف بها الرب عزوجل فتقوم بذاته لمشيئة مثل كلامه وسمعه وبصره وارادته ومبته ورضاه ورحمته وغضبه وسخطه ومثل خلقه واحسانه وعدله ومثل استوائه ومجيئه واتيانه ونزوله ونحو ذلك من الصفات التى نطق بها الكتاب والسنة .

وموقف الجهمية ومن وافقهم من المعتزلة وغيرهم انه لا يتقوم بذاته شئ من هذه الصفات ولا غيرها .

واما السلف الصالح وائمة السنة والحديث فيقولون : انه متصف بذلك كما نطق به الكتاب والسنة ومثلا يقول السلف فى صفة الكلام : يتكلم بمشيئته وقدرته وكلامه ليس مخلوق بل كلامه صفة له قائمة بذاته .

والى هذا ذهب ابو عمر بن عبد البر وعبد الله بن مبارك واحمد بن حنبل والبخاري وعثمان بن سعيد الدارمي ومن لا يحصى من الأئمة واحمد واسحاق بن ابراهيم وسائر اهل السنة متفقون على انه متكلم بمشيئته وانه لم يزل متكلما اذا شاء وكيف شاء .

ومثل ذلك مشهور عن السلف ان القرآن العزيز كلام الله غير مخلوق منه بدأو اليه يعود .

واما الجهمية والمعتزلة يطلقون القول : بانه يتكلم بمشيئته ولكن مرادهم بذلك انه يخلق كلاما منفصلا عنه .

واما الكلائية والسلمية : انه يتكلم بمشيئته وقدرته بل كلام قائم بذاته بدون قدرته ومشيئته مثل حياته وهم يقولون لبكلام صفة ذات لا صفة فعل يتعلق بمشيئته وقد رته واولئك يقولون : هو صفة فعل لكن الفعل عندهم هو المفعول المخلوق بالمشيئة وقدرته .

واما السلف فيقولون : أنه صفة ذات وفعل هو يتكلم بمشيئته وقدرته كلاما قائما بذاته .

وقال الشيخ ابن تيمية رحمه الله : هذا هو المعقول ما صفة الكلام لكل متكلم فكل من وصف بالكلام كالملائكة والبشر والجن وغيرهم فكلامهم لا بد ان يقوم بانفسهم وهم يتكلمون بمشيئتهم وقدرتهم .

والكلام صفة كمال لا صفة نقص وما يتكلم بمشيئته اكمل ممن لا يتكلم بمشيئته فكيف يتصف المخلوق بصفة الكمال دون الخالق؟ ولكن الجهمية بنوا على اصلهم ان الرب لا يقوم به صفة لأن ذلك بزعمهم يستلزم التجسيم والتشبيه لممتنع اذ الصفة عرض والعرض لا يقوم إلا بجسم .

لو اتصف الرب به لقام به الحوادث ولو قاست به الحوادث لم يخل منها وما لم يخل من الحوادث فهو حادث قالوا : ولأن كونه قابلاً لتلك الصفة ان كانت من لوازم ذاته كان قابلاً لها في الازل فيلزم جواز وجودها في الازل والحوادث لا تكون في الازل فان ذلك يقتضى وجود حوادث لا اول لها فذلك محال لوجوده قد ذكرت في غير هذا الموضع .

وهناك عدة آيات تدل على الصفات الاختيارية التي يسمونها حلول الحوادث وهذا كقوله : ((ولقد خلقناكم ثم صورناكم))^(١) وكذلك قوله ((ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم))^(٢) وكقوله ((فلما جاءها نودي ان بورك من في النار ومن حولها))^(٣) وكذلك قوله ((فلما تاهها نودي من شاطئ الوادي الايمن في البقعة المباركة))^(٤) .

ومثل ذلك مشهور عن السلف أن القرآن العزيز كلام الله غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود . وأما " الجهمية " و " المعتزلة " فيقولون : ليس له كلام قائم بذاته ؛ بل كلامه منفصل عنه مخلوق عنه و " المعتزلة " يطلقون القول : بأنه يتكلم بمشيئته ؛ ولكن مرادهم بذلك أنه يخلق كلاماً منفصلاً عنه . و " الكلائية والسالمية " يقولون : إنه لا يتكلم بمشيئته وقدرته ؛ بل كلامه قائم بذاته بدون قدرته ومشيئته مثل حياته ؛ وهم يقولون : الكلام صفة ذات ؛ لا صفة فعل يتعلق بمشيئته وقدرته ؛ وأولئك يقولون : هو صفة فعل ؛ لكن الفعل عندهم : هو المفعول المخلوق بمشيئته وقدرته .

وأما " السلف وأئمة السنة " : فيقولون : إنه " صفة ذات وفعل " هو يتكلم بمشيئته وقدرته كلاماً قائماً بذاته

وقال الشيخ ابن تيمية -رحمه الله- هذا هو المعقول من صفة الكلام لكل متكلم فكل من وصف بالكلام كالملائكة والبشر والجن وغيرهم : فكلامهم لا بد أن يقوم بأنفسهم وهم يتكلمون بمشيئتهم وقدرتهم .

والكلام صفة كمال ؛ لا صفة نقص ومن تكلم بمشيئته أكمل ممن لا يتكلم بمشيئته ؛ فكيف يتصف المخلوق بصفات الكمال دون الخالق ولكن " الجهمية والمعتزلة " بنوا على " أصلهم " : أن الرب لا يقوم به صفة ؛ لأن ذلك بزعمهم يستلزم التجسيم والتشبيه الممتنع ؛ إذ الصفة عرض والعرض لا يقوم إلا بجسم .

قالوا : فلو اتصف الرب به لقامت به الحوادث قالوا : ولو قامت به الحوادث لم يخل منها وما لم يخل من الحوادث فهو حادث ؛ قالوا : ولأن كونه قابلاً لتلك الصفة إن كانت من لوازم ذاته كان قابلاً لها في الأزل فيلزم جواز وجودها في الأزل والحوادث لا تكون في الأزل ؛ فإن ذلك يقتضي وجود حوادث لا أول لها وذلك محال : " لوجوه " قد ذكرت في غير هذا الموضع .

وهناك عدة آيات تدل على الصفات الاختيارية حلول الحوادث وهذا كقوله : { وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ } وكذلك قوله : { إِنَّ مِثْلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمِثْلِ آدَمَ } وقوله : فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مِنْ فِي النَّارِ وَمِنْ حَوْلِهَا وكذلك قوله : فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ {

المبحث الثاني : منهج الأشاعرة في أدلة إثبات الربوبية

المسألة الأولى : دليل إثبات وجود الله عند الأشاعرة

وبالتأمل في هذا الموضوع فهمنا أن الأشاعرة قد فصلت تكلفا بدأ في إثبات وجود الله . وطريقهم الأشهر الذي تعقلوه هو دليل الحدوث وكثرة كلامهم في الموضوع شق على المؤلفين حصر الموضوع في صفحات هليلة ونحن ن سلك فيه على سبيل الاختصار قدر الإمكان

وللدليل حدوث العالم عندهم مقدمتان

١ - العالم حادث

٢ - كل حادثة لا بد له من محدث فالفتيحة أن العالم لا بد له من محدث حدثه وهو الله سبحانه

فأما حدوث العالم فيستند إلى إثبات خمسة أمور

إثبات الأعراض وقيامها بالجواهر

وأما لفظ الجوهر والعرض فلفظان مجملان كذلك ' فإن أريد بالجواهر : الجوهر المفرد ' ثم الزعم بأن الأجسام كلها متركبة من الجواهر المفردة ' وهذا يقتضي تماثلها فهذا المعنى باطل ' لأن الله ليس كمثله شيء ' وإن أريد بالجواهر : المتحيز وهو بمعنى الجسم في اصطلاحهم فإنه قد تقدم تفصيل لفظي التحيز والجسم وإن أريد بالجواهر : ما هو قائم بنفسه بشرط كونه لا يماثله شيء في ذلك ' فهذا المهني لا ينفي عن الله مه المطالبة بالألفاظ الشرعية كالقيوم.

إثبات حدوث الأعراض

وأما لفظ العرض فإن أريد به الصفات التي يتصف بها فإنه لا ينفي هذا اللفظ وإن ك ان إطلاقه لا يخلوا من محذور لأنه في اللغة اذا قيل عرض المراد ما يعرض من الأعراض ومنه الناقة العارضة ' وإن أريد بالعرض ما يقوم بغير ثم قيل : الله

ليس بعرض' فهذا النفي صحيح لأن الله قائم بنفسه' وليس قائما بغيره' ولكن الملاحظة أن الذين ينفون الصفات يطلقون عليها أعراضا فيتوصلون بنفي العرض ما ثبت بالكتاب والسنة من صفات الله فلذا وجب استفصالهم فيها - والله أعلم -

إثبات استحالة تخلّي الجواهر عن الأعراض

إثبات امتناع حوادث لا أول لها

إثبات أن ما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث

وأما المقدم الثانية : كل حادث لا بد ما محدث فلا بد من دليل يدل على صحتها فهي من القضايا الفطرية لا الضرورية

ثم تعرض الأشاعرة لا ثبات لله هاتين المقدمتين

المراد بالعالم : الجواهر والأعراض وهذا غير معروف لدى السلف ويدل على ذلك قول الجويني : العالم عند السلف الأمة عبارة عن كل وجود سوى الله وعند خلف الأمة عبارة عن الجواهر والأعراض

وإثبات حدوث العالم مبني على إثبات الأعراض وقيامها بالجواهر

وهنا عرض الأمور الخمسة التي يستند إليها إثبات حدوث العالم

١ - دليل إثبات الأعراض أن اختصاص الجوهر بالجهة التي انتقل إليها من الممكنات إذ لا يستعيل تقدير لقائه في الج هة الأولى

وما دام من الممكنات وان حكمة جائز ثبوته وجائز انتفائه فلما تخصص بالثبوت فتقر إلى المقتضى اما أن يكون هو الجوهر نفسه إذ لو كان نفسه لاستحال عليه الزوال عن جهته الأولى فإذا ثبت هذا فلا بد أن يكون امرا زائدا وهذا الأمر الزائد يستحيل أن يكون عدها أو جوهرها مثله ثم مطاف طويل يصلون إلى نتحة ثبوت الأعراض وقياسها بالجواهر

٢ - ثم أما دليل إثبات قليل حدوث الأعراض فهو أنه قد ثبت بالملاحظة تعاقب أعراض متضاوة على سحائها - وهي الجواهر - مثل أن يكون الجوهر ساكنا ثم تطرأ عليه الحركة فحدوث الحركة مستفيدة لأنه طارئ والسكون حادث لأنه قد عدم فلو كان قديما لاستحال عدمه

والعرض من إثبات حدوث الأعراض يترتب على أصول منها أيضا استحالة قيام العرض بنفسه واستحالة قيام

العرض بالعرض واستحالة انعقال العرض واستحالة عدم القديم وإبطال القول بالكمون والظهور

٣ - ثم طريقة إثبات استحالة تخلّي الجواهر عن الأعراض هذان الجوهر لا يخلو عن كل جنس من الأعراض والعرض إما أن يقدر له ضد أو يقدر أنه لا ضد له فإن كان له ضد فلا يخلو الجوهر عن أحد الضدين فإن قدم عدم وجود ضد له لم يخلو الجوهر عن قبول واحد من جنسه ' وحكى الجويني اتفاق أهل الحق على ذلك و ذكر أيضا أنه يعلم بديهية العقول استحالة تعرى الأجسام عن الاتصاف بالسكون أو الحركة

وكلاهما عرض فدل ذلك عدا استحالة خلوا الجواهر عن الأرض أما إذا كان المخاطب بذلك من الملاحظة فإنه يقال له : إنه ما المعلوم بالاضطرار الجواهر الشاغلة للاحتياز لا تخلوا عن كونها مجتمعة أو مفترقة لأنها لا تعقل غير متماسة ولا مثبائية وذلك يقض باستحالة خلوها عن الاجتماع والافتراق وكل منها يستلزم حدوث الآخر لأنه إذا قدر الاجتماع أولا قرر العقل افتراقا سابقا وإذا طرأ الافتراق دل عد سيف الاجتماع

٤ - ثم طريقة إثبات امتناع حوادث لا أول لها هي بيان بطلان التسلسل فالملاحدة يزعمون أن المخلوقات متولدة عن بعضها إلى مالا نهاية بحيث يكون كل واحد منها معلولا لما قبله وعلة لما بعده وهذا هو التسلسل في المؤثرين والفاعلين المعلوم بالضرورة العقلية بطلانه وسلك الأشاعرة مسالك لا بطلاله وابطال نوع آخر من التسلسل في الماضي في الآثار

ثم يبيقي إثبات صحة المقدمة الثانية وهي كل حادث لا بد ما محدث وطريقة إثبات صحتها هي أن الحادث مسبق بالعدم قبل وجوده فهو ممكن والممكن جائز الوجود والعدم وكلاهما أمران متساويان في الجواز فلا بد مرجع الوجود على العدم وهذا مستبين على الضرورة معلوم بالبدهة أن الشيء لا يحود نفسها المناقشة

ان هذا الطريقة صعبة جدا متعاضية فكيف نجعل واجبة على كل مكلف وهذا الإلزام فنبه بعضهم بقوله : إنه يكفر دليل الجهلي وهو الذي يعجوها به عن تقريره على قواعد متطقية ولا يقدر على دفع الشبه عنه

إن هذه الطريقي التزم بمحاكمها الأشاعرة القول بإنكار الصفات العقلية. ان تقوم بالباري تعالى لأنها حادثة وما لازم الحادث فهو حادث وهو بعينه لريف إثبات وجود الله فحسبي يتم لهم هذا الاستدلال كان لابد هي نفي هذه الصفات ولو أنهم فرقوا بين نوعين من التسلسل ما وقعوا في هذا المخور

المسألة الثانية : دليل إثبات وحدانية الله

المراد بالوحدانية : أن رب العالم واحد

والطريقة الأشاعرة في إثبات وحدانية الله تعالى هو برهان التمانع والدليل عليهم لو تعددت الآلهة لما وجدت شيء من العالم ولكن العالم موجود بالمشاهدة إذا فلا تعدد في الآلهة. وإذا بطل تعدد ثبتت الوحدانية

فيفترض وجود إلهين فإنهما إذا أراد شيئا فلما أن يتفقا وإما أن يختلفا

الأول : احتمال اتفاقهما

انه لا معنى من القول بالتعدد إذا كانا متفقين ولكن إذا فرض إلهان كل واحد منهما غير الآخر فلا بد أن يختلف صفاتهما وهذا خلاف يستحيل معه الوفاق وهذا الاحتمال لزيادة بطلا فيقال : احتمال الاتفاق لا يخلوا من ثلاثة أمور

الأول : أن يوجد الأمعا

الثاني : أن يوجد أحدهما

الثالث : أن يوجد أحدهم البعض الآخر البعض

فهذه الأمور الثلاثة باطل

أما الأول فباطل : لأنه يلزم منه اجتماع موثرين على أثر واحد

وأما الثانية فباطل : إذا يلزم منه تحصل الحاصل

وأما الثالثة فباطل أيضا لأنه يلزم منه عجزهما

الثاني : احتمال اختلافهما

وذلك إذا أراد أحدهما أيضا احجاد العالم والآخر اعدامه ولا يخلوا أيضا من ثلاثة أمور

أحدهما : أن ينفذ مرادهما

الثاني : أن لا ينفذ مرادهما لتمانعهم

الثالث : أن ينفذ مراد أحدهما دون الآخر

فهذه الثلاثة باطل : لأن الأول يستحيل باجتماع مفيضين وهما الإيجاد ولاعدام ' والثاني باطل للزوم عجزهما وهو مستحيل ' والثالث فالذي نفذت إرادته هو الإله الحق

وذكر علماء الأشاعرة أن في القرآن آية مشتملة كل هذه الدليل قوله: ((لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا)) (٥) والمراد بالفساد هنا عدم التكوين .

استدل الأشاعرة بهذه الآية لإثبات الوجدانية . أي في الربوبية . وهذا القدر معلوم بالفطرة الضرورية وأما استدلالهم بأن الآية مشتملة على برهان التمانع فهذا ليس مقصود القرآن وإنما مقصوده توحيد الإلهية المتضمن لتوحيد الربوبية التي ذكره دون عاص والرد عليهم في الاستدلال بالآية بإيجاز

١ - ان الله جل وعلى قال : **لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلَهُ إِلَّا اللَّهُ** (6) ولم يقل أرباب وهو معلوم بدلالة قاطعة التغاير بين الإله والرب من حيث المفهوم

٢ - ان الذين أنزل الله فيهم القرآن كانوا يثبتون ربوبية الله على خلقه ويقعون في الشرك به في الإلهية . ولذلك ميقت الآية في الرد عليهم في هذا الثاني .

ودليل التمانع قائم على أساس عدم تكوينهما وجودهما .

المبحث الأول :

منهج أهل السنة والجماعة في مسائل توحيد الأسماء والصفات.

المطلب الأول :

المسائل المتعلقة بالأسماء الحسنى

المسألة الأولى : أسماء الله الحسنى توقيفية

أن الله قد مدح المؤمنين في كتابه بإيمانهم بالغيب فقال : ((ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ)) (١)

ومن تمام الإيمان الغيب الوقوف عند الأخبار التي تتكلم عن هذا الغيب والأسماء الحسنى هي من هذا الباب حيث لا لسبيل إلى معرفة إثباتها الاجالوحي فالعقل وحده يخش من قصورة في إدراك ما يستحقه سبحانه من الأسماء الحسنى . وقد أمر الله الأنان بقوله : ((وَلَا تَقَفْ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا)) (٢) والله أعلم لنفسه وبما يستحقه من الأسماء والصفات وقد حرم الله القول عليه بلا علم فقال : ((قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ)) (٣)

فإثبات أسماء الله أو نفيها يحتاج إلى توقيف فإن تسمية الله بما لم يسم به نفسه أو نفي ما سمي به نفسه من القول على الله بلا علم فوجب موجب الوقوف حيث وقف الدليل

اعلم أن من الناس نفي ثبوت أسماء الله وسلم ثبوت الصفات ومنهم من عكس سلم ثبوت الأسماء وأنكر ثبوت الصفات ومنهم من اعترف بالأسماء والصفات لله تعالى

ونفى أسماء الله مصيبة عظمية وإلحاد صريح وهذا رأي الجهمية أطباع جهنم ابن صفوان أن الترمذي الذي ذهب إلى نفي أسماء الله حيث قال بنفي كل اسم يرى جواز إطلاقه على المخلوق وأثبت بعض الأسماء الذي يرى أن الله مخيص بها ولا يجوز تسمية المخلوق بها كخالق والمحي والمميت والموجد

فإثبات أسماء الله كما جاءت في كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم هو ما قالت به كماهير الأمة وهو أمر واجب إذا أنه من تمام التوحيد ومن كمال معرفة الرب سبحانه كما يقول سيد محمد بن مرتضى اليماني في كتابه إثبات الحق مقام معرفة كمال هذا الرب الكريم وما يجب به من نعوته وأسمائه الحسنى من تمام التوحيد الذي لا بد منه لأن كمال الذات

بأسمائها الحسنى ونعوتها الشريفة ولا كمال الذات ولا نعت لها ولا اسم ولذلك عد مذهب الملاحدة في مدح الرب بنفيها من أعظم مقاعدها للإسلام فإنهم عكس المعلوم عقلا وسمعا فذموا الأمر المحمود ومدحوا الأمر المذموم القائم مقام النفي المحض وضادوا كتاب الله ونصوصه الساطعة

إن الأدلة الدالة على منع القول على الله بغير علم في أسماء الله الحسنى وقد سار الأئمة على ذلك ومن ذلك ما قاله الإمام أحمد - رحمه الله - لا يوصف الله تبارك وتعالى بأكثر مما وصف به نفسه ولا يتعدى القرآن والحديث ((٤)) فقله لا يوصف دخل في الوصف الأسماء الحسنى والصفات وقد علم أن أسماء الله الحسنى من أوصاف له

وقال الإمام البغوي - رحمه الله - أسماء الله تعالى على التوفيق ((٥)) وقد كان أولئك المتنبئون يذهبون في طريق الإثبات مذهبين ذكرهما الرازي فقال مذهب أصحابنا يعني الأشاعرة أنها توقيفية وقالت المعتزلة

والكرامة أن اللفظ الدال إذا دل العقل على أن المعنى ثابت في حق الله جاز إطلاق ذلك اللفظ على الله تعالى سواء ورد التوفيق به أو لم يرد فمذهب جمهور الأشاعرة إذا هو القول بالتوفيق وقد ملك الشيخ البيهقي هذا المسك

يقول البيهقي - رحمه الله - إثبات أسماء الله تعالى ذكره بدلالة الكتاب والسنة وإجماع الأمة فالبيهقي بهذا الكلام يصحح برأيه في أن أسماء الله لا يجوز إطلاقها عليه ما لم يدل عليها إحدى هذه الطرق الثلاث لأن التوقيف وحده هو مجال الإثبات لها . وذكر - رحمه الله - مجموعة من النصوص القرآنية والحديثية تدل على ثبوت هذه الأسماء التي أنكرها من لا اعتبار برأيه من أرباب الأهواء وأصحاب البدع فالله تعالى يقول: **وَاللَّهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا** أو قال تعالى: **((قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى))** (٦) وقد أقر الشيخ فخر الدين الرازي : أن أسماء الحسنى توقيفية ولكن الأشاعرة فيها ثلاثة أقوال:

القول الأول : أن ذلك على التوقيف وهو قول الأشاعرة والمختار عند جمهور الأشاعرة واختاره المتأخرون قال القاضي : واختير أن أسماء توقيفية

كذا الصفات فاحفظ السمعية

وهذا القول قالوه استنادا لأمرين :

١ - للاحتياط احترازا يوهم باطلا إذ القياس لا يصح في هذا الباب فإن الله يسمى جوادا ولا يسمى سخريا . ويسمى عالما ولا يسمى عارفا. إذ المعرفة اسم لعلم تقدمته غفلة فهذه من جهة أيها ما للباطل

٢ - فإنه إذا لم يجز أن يسمى الرسول صلى الله عليه وسلم ما سماه الله به ولا هو سمي نفسه به فهو في حق الله أولى بالمنع وعدم للجواز.

القول الثاني : أنه لا يشترط أن يكون التوقيف من كتاب أو سنة وهذا أقوال الباقلاني

القول الثالث : وهو للغزالي واختاره الرازي وهو جواز ما كان من قبيل اجزاء الصفات وإن لم يأت بها الشرع إذ هو إخبار بثبوت مدلولها ومنع التسمية إن لم يأت بها الشرع

وبالجملة واقفة الأشاعرة أهل السنة في أن الأسماء الحسنى توقيفية لأن جمهور مذهب الأشاعرة إذا هو القول بالتوقيف أن الله قد حرم القول عليه بلا علم فقال : **قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ** فهذا دليل من الشرع يفيد عدم جواز تسميته عالم يسمى به نفسه وبهذا ليعلم أن باب الأخبار أوسع من باب الأسماء عند الأشاعرة

المسألة الثانية : أسماء الله أعلام وأوصاف محض

فأسماء الله الحسنى باعتبار دلالتها على الذات أعلام وتكون مترادفة بهذا الاعتبار لدلالاتها على مسمى واحد هو الله عز وجل وقد وصف الله نفسه بأسماء كثيرة كما في قوله تعالى : **((وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ))** (٧) وقوله في آخر سورة الحشر : **هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** ((٨) (

فذكر الله في هذه الآيات أسماء له وصفها بأنها حسنى وبأنها له وحده وطهر من هذا ترادفها بهذا الاعتبار قال الإمام الدارمي : بعدات عددا أسماء الله الحسنى فهذا كلها أسماء لم تزل له بأبيها دعوت فإنها تدعو الله نفسه وهذا يدل على أن الأمة يعدونها أعلاما بهذا الاعتبار هو الأدلة الدالة على اشتغال الأسماء الحسنى على المعاني والأوصاف ثلاثة ' وهي :

- ١ - وصف الله وأسماءه بأنها حسنى وذلك بأنها يقتضي أن يكون مقضية لمعان وأوصاف كاملة وإلا لكانت جامدة
- ٢ - وصف الله نفسه لصفات تلتقي مع الأسماء الحسنى في ١ معنى وصفة القوة مع اسمه القوى والرحمة مع الرحمن الرحيم . والعلم مع العليم والبصر مع البصير والقدرة مع القدير.....

وقد علم في هذا الصرف أن الأسماء مشتقة من المصدر والمراد يكون الأسماء مشتقة من الصفات أنها تلتقي معها في المعنى لأنها متولدة منها فأسماء الله الحسنى على هذا متضمنة للصفات إذ لو لم تدل على المعاني والصفات لما أخبر الله عن نفسه بتلك الصفة التي تلتقي معها

ومن أمثلة ما ورد من الأسماء الحسنى والصفات التي تلتقي معها أن الله سمي نفسه الثوي العزيز وأخبر عن نفسه بأن له العزة وإنه ذو القوة فقال : **إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ** أو قال **فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا** (٩) وسمى الله نفسه الرحمن الرحيم وأخبر عن نفسه بأنه ذو رحمة فقال : **وَرُبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ**

وسمي نفسه البصير كما في قوله تعالى : لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ وأخبر عنه رسول الله بأن البصر لقوله أن الله لا ينام ولا ينبغي أن ينام يخفض القسط ويرفعه يرفع الله عمل الليل فقال عمل النهار وعمل الليل لا قبل عمل الليل حجاب النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه

٣ - أخبر الله عن نفسه بأفعال هذه الأسماء والأفعال أحكام للصفات فثبت الإحكام فرع ثبوت الصفات وإذا انتفى الأصل استحال ثبوت الفرع فإذا ثبت الفرع وهو الحكم ثبت وجود الأصل ومن أمثلة ذلك قول الله : إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى وقوله : قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوَرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (12) يقر الأشاعرة بأن أسماء الله كلها حسنى لأنها دالة على معان حسنى وهي الصفات قال الرازي : أن أسماء الله تعالى دالة على صفات الكمال ونعوت الجلال وهذا الإقرار هو من حيث الجملة أما عند التفصيل فإنهم يعدون بعضها أعلاما محضة ويؤولون بعضها بمعان أخرى وما دل على الأفعال منها فلا يدل على صفة تعود إلى الذات إلا تجوزا .

قال الجويني : جميع أسماء الرب سبحانه تقسم إلى ما يدل على الذات أو يدل على الصفات العديدة وإلى ما يدل على الأفعال أو ما يدل على النفي فيما يتقدس الباري سبحانه .

قال الشيخ محمد بن حسين القحطاني : وإنما قلنا فإنها أعلم وأوصاف لدلالة القرآن عليها كما في قوله تعالى : وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ وقوله : وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ فإن الآية الثانية دلت على أن الرحيم هو المنتصف بالرحمة وإجماع أهل اللغة والعرف أنه لا يقال عليم إلا لمن علم ولا سميع إلا لمن سمع ولا بصير إلا لمن له بصر وهذا الأمر يبين من أن يحتاج إلى دليل وبهذا علم ضلال من سلبوا أسماء الله معانيها من أهل التعطيل وقالوا أن الله سميع بلا سمع وبصير بلا بصر وعزيز بلا عزة وهكذا عللوا ذلك بأن ثبوت الصفات يستلزم تعدد القدماء وهذه العلة عليلة بل ميتة لدلالة السمع والعقل على بطلانها .

أما السمع فلأن الله وصف نفسه بأوصاف كثيرة مع أنه لواحد الأحد فقال : إِنَّ بِطُشِّ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ إِنَّهُ هُوَ يَبْدِئُ وَيُعِيدُ وَهُوَ الْغَفُورُ الْودُودُ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ فَعَالٌ لَمَّا يَرِيدُ هل أتاك حديث الجنود وقال تعالى : سُبْحَ اسْمِ رَبِّكَ الْأَعْلَى الَّذِي خَلَقَ فَسْوَى وَالَّذِي قَدَّرَ فَهْدَى وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى ففي هذه الآية الكريمة أوصاف كثيرة لموصوف واحد ولم يلزم من ثبوتها تعدد القدماء

وأما العقل فلأن الصفات ليست ذوات بائنة من الموصوف حين يلزم من ثبوتها التعدد وإنما هي من صفات من اتصف بها فهي قائمة به وكل موجود فلا بد له من تعدد صفاته ففيه صفة الوجود وكونه واجب الوجود أو ممكن الوجود وكونه عينا قائما بنفسه أو وصفا في غيره

المسألة الثالثة : أسماء الله غير مخلوقة

أسماء الله تعالى هي أوصافه التي وصف بها نفسه ووصفه سبحانه وتعالى من كلامه وكلامه غير مخلوق . فالأسماء الحسنى إذاً غير مخلوقة ومما يدل على ذلك الأصل الوضعي . والمراد هنا بيان المقصود له لغة فهو اللفظ الموضوع لدلالة على مسماه سواء كان هذا المسمى ذاتاً وصفة . والأول كالعالم فهو دال على ذات متصفة بالعلم . والثاني كالعلم فهو دال على صفة والمراد باللفظ الصوت المشتمل على الحروف وما كان كذلك فإنه يكون من جملة الكلام الذي لا بد له من متكلم به ولا يصح الخروج عن هذه الدلالة اللغوي إلا بدليل فإن القرن أنزل بلسان عربي مبين هو عليه فإن أسماء الله الحسنى هي كلماته الدلالة على ذاته المتضمنة إثبات صفات الكمال له بلا مماثلة وتنزيه عن صفات النقص والعيب

الثاني الدليل من السنة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك)) (٩) الحديث والشاهد منه قوله سميت به نفسك يقال سمي يسمى تسميته إذا وضع الاسم للمسمى وقد تقدم أن الأسماء في أصل الوضع اللغوي من الكلام ودل الحديث على أن المسمى هو الله والتسمية فعل وقد حقق أهل السنة أن الكلام صفة ذات وفعل فتكون دلالة الحديث واضحة في أن الله سمي نفسه بأسماء حسنى هي من كلامه .

وأهل السنة إذا قالوا : أن الأسماء الحسنى تابعة للذات لا يريدون بهذا أن الأسماء من صفات ذاته فحسب وإنما يريدون أنها من صفات ذاته وقد تعلق بها مشيئته أي أنه سمي نفسه بمشيئته وقدرته

وقد قال في ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية والذين وافقوا السلف على أن كلامه غير مخلوق وأسماءه غير مخلوق يقولون الكلام والأسماء من صفات ذاته لكن هل يتكلم لمشيئته وقدرته ويسمى نفسه بمشيئة وقدره . الفضى هو قول ابن كلاب ومن وافقه والإثبات هو قول أئمة الحديث والسنة

قال الإمام الشافعي: ((من حلف باسم من أسماء الله وحنت فعله الكفارة لأن اسم الله غير مخلوق . (١٠) وقال ابن هانئ : سمعت أحمد بن حنبل وهو محتف عندني فسلته عن القرآن فقال : من زعم أن أسماء الله مخلوقة فهو كافر. (١١))

يقول الإمام الدارمي : فهذا الذي دعوا في أسماء الله أصل كبير من أصول الجهمية التي بنوا عليها محتتهم وقال قبلها وقد كان الإمام المريس في أسماء الله مذهب كمذهبه في القرآن كان القران عنده مخلوقا من قول البشر . (١٢) وقال الإمام إسحاق ابن راحويه أفض أي الجهمية إلى أن قالوا أسماء الله مخلوقة لأنه كلام ولا اسم وهذا هو الكفر المحض. (١٣) فالداعي الأشاعرة أن أسماء الله غير الله وأنها مخلوقة مستعارة كما هو قد يوجد شخص ب بلا اسم فتسميته لا تزيد في الشخص ولا تنقص

وقال الدارمي يعني أن الله كان مجهولاً كشخص مجهول لا يهتدي لاسمه ولا يدري ما هو حتى خلق الخلق فابتدعوا له أسماء من مخلوق كلامهم فأعاروها إياه من غير أن يعرف له اسم قبل الخلق وأردف فمن الداعي هذا التأويل في أسماء الله

فقد نسب إليه إلى العجز والوهن والضرورة والحاجة إلى الخلق لأن المستعير محتاج مضطر والمغير أبداً أعلى منه وأغنى ففي هذه الدعوى استجهال الخلق أذ كان يزعمه هملاً لا يدري ما اسمه وما صفته والله المتعالى عن هذا الوصف المنزه عنه لأن أسماء الله هي تحقيق صفاته .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : والذي كان معروفاً عند " أئمة السنة " أحمد وغيره : الإنكار على " الجهمية " الذين يقولون : أسماء الله مخلوقة . فيقولون : الاسم غير المسمى وأسماء الله غيره وما كان غيره فهو مخلوق ؛ وهؤلاء هم الذين ذمهم السلف وغلظوا فيهم القول ؛ لأن أسماء الله من كلامه وكلام الله غير مخلوق ؛ بل هو المتكلم به وهو المسمى لنفسه بما فيه من الأسماء . (١٤)

وقد صرح الأئمة بتكفير من قال بخلقه الأسماء الحسنى وذلك لما ظهرت بدع الجهمية في القول بخلق القرآن فكان قولهم بخلق الأسماء إمتداداً لقولهم بخلق القرآن لأنهما من كلام الله وصرح الطبري فقال وأما القول في الاسم أهو المسمى أم غير المسمى فإنه من حماكة الحادثة التي أثر فيها فيتبع ولا قول من إمام فيستمع فالخوض فيه شيء منه فالصمت عنه زين وحسب أمر من العلم به والقول فيه أن ينتهي إلى قول الله ثنائاً الصادق : ((قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى وَقَوْلُهُ : وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا)) (١٥)

المثالة الرابعة : أسماء الله غير محصورة

وتوضيح هذا العنوان أن الصفات الواردة في القرآن والسنة ثابتة لله تعالى غير محصورة على تسعة وتسعين صفة لأنه ورد في الصحيحين وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال ((إن لله تسعة وتسعين اسماً مائة إلا واحدة من أحصاها دخل الجنة)) (١٦) هذا الحديث على ظاهره يحصر أسماء الله في هذا الأدب ولكن هذا الحصر لا يلزم المفهوم في أسماء الله المنتشرة في الكتاب والسنة وذكر الأدب المعين أنه لبيان أشهرها وأبينها معاني ولو فرضنا أنه للأدب المفهوم لبقية الصفات دون معنى يراد بها ودون اسم يدعي به وهذا ألا يخالف ما ظهر في هذا الحديث لأن الذي قال بهذا الأدب قال بسائر الصفات .

وعلى هذا المعنى مضى السلف جميعهم حتى كاد الإجماع ينعقد على أن العدد للمفهوم له يقتضي الحصر لأسماء الله تعالى في تسعة وتسعين فقد وحكف مذهب أهل الظاهر في الأخذ بظواهر النصوص لا يخض ولم يوجد هناك أحد يخالفه سوى ابن حزم فقد قال - رحمه الله - في كتابه المحلى ما نصه .

أن له عز وجل تسعة وتسعين اسماً مائة غير واحد وهي أسمائه الحسنى من زاد شيئاً من عنده فقد أُلْحِدَ في أسمائه وهو الأسماء المذكورة في القرآن والسنة .

وقد صح أنها تسعة وتسعون اسما فقد ولا يحل للأحد أن يجزي أن يكون له اسم زائد لأنه عليه السلام قال مائة غير واحد فلو جاز أن يكون له تعالى اسم زائد لكانت مائة اسم ولو كان هذا لكان قوله مائة غير واحد كذب ومن أجاز هذا فهو كافر ولشيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - في هذه المسألة كلام شاف يغني عن غيره فأجاب - رحمه الله - في مجموع الفتاوى ج ٢٢ ص ٤٨٢ أن التسعة وتسعين اسما لم يرد في تعيينها حديث صحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم.

والشهر ما عند الناس فيها حديث الترمذي الذي رواه وليد مسلم عن شعيب عن حمزة وحفاظ أهل الحديث يقولون هذه الزيادة مما جمعه وليد بن مسلم عن شيوخه من أهل الحديث وفيها حديث ثان أضعف من هذا

الوجه الثاني : أنه إذا قيل تعيينها على ما في حديث الترمذي مثلاً في الكتاب والسنة أسماء ليست في ذلك الحديث مثل اسم الرب فإنه ليس في حديث الترمذي وأكثر الدعاء المشروع إنما هو بهذا الاسم كقول مريم : ربنا ظلمنا أنفسنا وقول نوح : رب إني أعوذ بك أن أسألك ما ليس لي به علم وقول إبراهيم : ربنا اغفر لي ولوالدي وقول موسى : رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفرله وقول المسيح " اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء..... وكذلك اسم المنان ومن أسمائه التي ليست في هذه التسعة وتسعين اسما : السبوح

الوجه الثالث : ما احتج به الخطال غيره وهو حديث ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ما أصاب عبدا قط..... أسألك بكل اسم هو لك أو استأثرت به في علم الغيب عندك قال الخطالي وغيره : فهذا يدل على أنه له أسماء استأثرت بها وذلك يدل على أنه قوله إن لله تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة كما يقول القائل : إن لي ألف درهم أعدتها للصدقة وإن كان ماله أكثر من ذلك .

المبحث الثاني : منهج أهل السنة والجماعة في أدلة الأسماء والصفات

المطلب الأول : الأحد بالأدلة الشرعية والاكتفاء بها عما سواه

المسألة الأولى : اجراء النصوص على ظاهرها وعدم تحريفها

إجراء النصوص على ظاهرها وعدم تحريفها

الظاهر يطلق في اللغة على الواضح وعند العلماء الأصول فيه ثلاثة مذاهب

١ - وهو مذهب المتقدمين وهو ما ظهر معناه الوضعي سيق له اللفظ أو لم يسيق

٢ - وهو مذهب المتأخرين من الحنفية وهو ما ظهر معناه الوضعي محتملا غيره احتمالا مرجوحا بشرط عدم سوق الكلام له فرقا بينه وبين النص

٣ - وهو مذهب علماء الشافعية وهو ما دل على معنى بالوضع الأصلي ويحتمل غيره احتمالا مرجوحا أو هو ما له دلالة ظنية ضمن تحقيق إرشاد الفحول م ٢ ص ٥٨٨

والمراد بالظاهر هو الظاهر الشرعي وتوضيحه بأن الصفات الواردة يجب إثبات ظهورها التي تتبادر إلى الأذهان على حقيقة الإثبات مع تنزيه صفاته عن مماثلة الخلق لها حيث يقطع النظر عن ذلك كيفيتها والظاهر بعبارة أخرى الحقيقة في أغلب استعمالاته لأن للظهور أسبابا ومن أهمها الحقيقة ولذا نرى العلماء يطلقون على الظاهر بالنص كما نقل إمام الترمذي أن الشافعي كان يسمى الظاهر نصا.

((إرشاد الفحول ص ٥٨٨))

فالواضح أن النفس ما كانت إفادته ظاهرة بنفسه وأمرار النصوص على ظواهرها أقرب ما يتوصل به إلى الحد الصائب عند التنازع وهو اسم طريق للوصول إلى معنى مقصود سلم باللفظ من حيث ماهيته وحقيقته والظاهر يوجب عقلا راجحا وخلافه يوجب عقلا مرجوحا فالراجح مقدم قطعا على المرجوح لأنه لا مجال لطرو المغالطة والتشقيق في لفظ أريد به فهم راجح يطمئن به البال وينحل به العقد

هناك دوافع تدفع إلى حمل النصوص على ظواهرها وقد حصرها العلماء في أربعة نقولها ملخصة .

١ - القرآن موصوف بالإيمان والهدى وخطاب القرآن بين واضح في فهم المتمكن من الفهم مراد المتكلم بكلامه وبديل ذلك قوله تعالى : ((وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ)) (١٧) فيتضع من الآية أن القرآن ناطق بالظاهر

ولسان القرآن لسان عربي مبين يبينهم بلسان قومه فاتضع أن القرآن ١ لناطق بالصفات ناطق بظواهرها ٢ والعلم والقدره والبصر وغيرها لا دليل على أن هذه النصوص تفيد خلاف ظواهرها وهذا هو ثواب مع ملاحظة أمرين :

١ - الله أعلم بما ينزل

٢ - أنه لو كان الظاهر غير مراد لفجأ القرآن ببيانه إذ تأخير البيان عن وقت الحاجة لا يجوز

٣ - والمبين للقرآن نطق بظواهرها والله يقول مخاطبا لرسوله : ((وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ)) (١٨) وهو الهادي إلى صراط مستقيم وقد احتوت سنته على ذكر صفات الله تعالى من ناحية التصريح بالقول ومن ناحية لإقرار به وكل من لئليهما قد يرد مثلها في القرآن أو لم يرد وهي إما صفات فتية أو صفات ناحية والنبي صلى الله عليه وسلم نطق كما نطق به الرب جل وعلى فصار ما نطق به من الظاهر مبينا لآيات الصفات نفسها

٤ - إجماع الصحابة الأئمة على أن المراد ظاهرها قال الوليد بن مسلم ((سألت الأوزاعي ومالك بن أنس وسفيان الثوري وأبيث بن سعد عن هذه الأحاديث التي فيها الرواية وغير ذلك وقالوا امض بها بلا كيف)) (١٩)

وقال الإمام أحمد بن حنبل ولا يفسر هذه الأحاديث إلا مثلما جاءت ولا نردها. (٢٠)

وقد سئل الإمام ابن تيمية - رحمه الله - عن رجلين اختلفا في الاعتقاد . فقال أحدهما : من لا يعتقد أن الله سبحانه وتعالى في السماء فهو ضال . وقال الآخر : إن الله سبحانه لا ينحصر في مكان وهما شافعيان فبينوا لنا ما نتبع من عقيدة " الشافعي " رضي الله عنه وما الصواب في ذلك ؟ فأجاب : الحمد لله اعتقاد الشافعي - رضي الله عنه - واعتقاد " سلف الإسلام " كمالك والثوري والأوزاعي وابن المبارك وأحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه ؛ وهو اعتقاد المشايخ المقتدى بهم كالفضيل بن عياض وأبي سليمان الداراني وسهل بن عبد الله التستري وغيرهم . فإنه ليس بين هؤلاء الأئمة وأمثالهم نزاع في أصول الدين . وكذلك أبو حنيفة - رحمه الله عليه - فإن الاعتقاد الثابت عنه في التوحيد والقدر ونحو ذلك موافق لاعتقاد هؤلاء واعتقاد هؤلاء هو ما كان عليه الصحابة والتابعون لهم بإحسان وهو ما نطق به الكتاب والسنة . قال الشافعي في أول خطبة " الرسالة " : الحمد لله الذي هو كما وصف به نفسه وفوق ما يصفه به خلقه . فبين - رحمه الله - أن الله موصوف بما وصف به نفسه في كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم. (٢١)

وقال ابن كثير - رحمه الله - وقد روى عن الربيع وغير واحد من رؤوس أصحابه ما يدل على أنه كان يمر بآيات الصفات وأحاديثها كما جاءت من غير تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل ولا تحريف، على طريق السلف. (٢٢)

وقد سئل الإمام محمد بن شهاب الزهري والإمام مكحول عن تفسير أحاديث الصفات فقالا : أمرهما كما جاءت فهذا الذي تقدم يدل دلالة قاطعة على أن ما جاءني ونصوص الصفات حق على ظاهره المراد شرعا فيجب إثباتها بلا تمثيل

وتنزيه الله عن مشابهة خلقه فيها بلا تعطيل وذلك أن ذكرها في القرآن بلا قرينة تصرفها عن ظاهرها ثم تعقيد رسول الله ذلك في سننه قولاً وإقراراً يذكرها كما وردت فب القرآن بل يذكر صفات أخرى لم ترد وهو الذي قال الله فيه : وما ينطقُ عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى يدل دلالة قاطعة أن نصوص الصفات يجب إجرائها على ظاهرها .

المسألة الثانية : إثبات صفات كمال وصفات وحقيقة بلا تمثيل ولا تكيف

الصفات المشبهة لله تعالى صفات كاملة حقيقة ويظهر أنه هناك فرعين : الأول في أن صفات الله صفات كاملة والثاني : أن هذه الصفات حقيقة في الخالق وهذا يظهر في الاتفاق ويتجلا واضحا فقد بين الله تعالى أن له المثل الأعلى ((الذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء والله المثل الأعلى)) (٢٣) وقال ((وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه وله المثل الأعلى في السموات والأرض)) (٢٤) ووردت عن سلف عبارات أخرى غير هذه فقال ابن جرير الطبري : هو الأطيب والأفضل والأحسن والأجمل وذلك التوحيد والأذعان له بأنه لا إله غيره

وهنا جمع ابن قيم الجوزية وعلق بين كلمات السلف في الصفات وعباراتهم بقولهم والله المثل الأعلى يتضمن الصفة العليا وعلم العالمين بها ووجودها العالمين بها والخبر عنها ذكرها وعبادة الرب سبحانه بواسطة العلم والمعرفة والله سبحانه له الصفات العليا وتأييد صفاته وتحقيقا لها نزه الله نفسه كما يصف به أعداءه فقال ((سبحانه ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين)) (٢٥)

وإذا تقرر هذا فلا مجال للأشاعرة في القول بفرض اللزوم للصفات لأنها جمال وجلال ولذا نقول دائما بقاعدة الاتفاق في الأسماء لا يستلزم الاتفاق في الصفات ومعناه أن الصفات المضافة إلى الله لا تضاهي الصفات المضافة إلى المخلوقين كما يقول عن نبيه ((بالمؤمنين رؤوف الرحيم)) (٢٦) كما سمي به نفسه ((وكان بالمؤمنين رحيما)) (٢٧) وليس مجرد للاتفاق في اسم الرحمة دليلا على أن الرحمة كالرحمة

ومن المعلوم أن المعاني والأوصاف تتميز عن بعضها بحسب ما تضاف . فصفة كل موصوف تناسبه وتليق به فكما أن الذوات تختلف بحسب ما تضاف إليه فلو وصفنا الحديد باللين ووصفنا الإنسان بأنه لين فقد اتفق الحديد والإنسان في الوصف باللين لكن نعلم عقلا وحسا أن اللين المضاف إلى الحديد ليس كاللين المضاف إلى الإنسان فاتفق العرش والبعوض بأن كل واحد منهما موجودا لكن ليس وجود العرش كوجود البعوض ومن قال بذلك فقد جعل وجود أكبر المخلوقات كوجود أصغر المخلوقات وحمل هذا فقدس

فكل صفة كمال أثبتها الله لنفسه وأثبتها له رسول الله فإنها ثبتت على وجه الكمال والتنزيه ومن ذلك صفات القدرة والسمع والعلم وإذا كانت الصفة التي وصف الله بها نفسه مقيدة فيجب وصفه على وجه التقييد المذكور فلا تثبت له

بالطلاق كمالا تنفي عنه بطلاق ومن ذلك : المكر والكيد والخداع فهذه الصفات التي ذكرها الله تعالى في أحوال معينة فهي في مقابلة من يعادونه ورسوله وأتباعهم ليبين كمال قدرته قال الله تعالى : ((ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين)) (٢٨) وقال ((إنهم يكيدون كيدا وأكيد كيدا)) (٢٩) وقال ((إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم)) (٣٠) فظهر من هذه النصوص أن الله تعالى لم يذكر هذه الصفات على سبيل الإطلاق فالكمال في وصف الله بها أن يوصف بها كما جاءت مقيدة

((القواعد المثلى لابن عثيمين))

الفرع الثاني : صفات الله سبحانه صفات حقيقة وهي تنحصر على ثلاثة أدلة كلية

١ - إنها من باب إضافة الصفات إلى الموصوف بها وتوضيحه أن الشيء المضاف إلى الله أو المذكور بأنه منه أما أن يكون عينا قائمة لنفسها أو أمرا قائما بتلك العين وأما أن يكون غير قائم بنفسه ولم يذكر له موصوف غير الله فالأولان مخلوقان قطعاً فمثال الأول قول الله : فقال لهم رسول الله ناقة الله وسقياها

ومثال الثاني قول الله تعالى في عيسى عليه السلام : وروح منه وأما الثالث فلا يكون إلا صفة كسمع الله وبصره .

قال ابن خزيمة : فأما اضاف الله في نفسه على معينين :

١ - أضافت الذات والآخر إضافة الخلق وأما قوله إضافة الخلق فدخل فيه النوعان الأولان مخلوقات ومعلوم أنه منى صفة لموصوف فلا بد أن يعود حكمها إلى الموصوف ويخبر بها عنه ويمتنع أن يعود حكمها إلى غيره وأن يخبر بها عنه

ويتضح هذا المثال وهو أن الله ذكر الكلام صفة له كما في قوله تعالى : إني أنا الله لا إله إلا أنا فهذا الكلام نسبه الله إليه فيخبر عنه بأنه المتكلم به ويمتنع أن يقال أن الشجرة هي المتكلمة به وألا للزمت وهي أنه لو كان هذا الكلام مخلوقا قائما بالشجرة وعائدا حكمها إلى الله للزم أن يكون كل قول كذلك كقول فرعون : أنا ربكم الأعلى فلا يكون فرعون بقوله هذا كافر لأن حكم الكلام عائد إلى الله وهذا باطل باتفاق

وعلى هذا الدرب مشى الأئمة ومن ذلك ما قاله سليمان بن داود الهاشمي وهو من قال : القرآن مخلوق فهو كافر وإن كان القرآن مخلوقا كما زعموا أن هذا المخلوق والذي قال إني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدي هذا أيضا قد وعى ما ادعى فرعون كلما صار فرعون أولى بأن يخلد في النار من هذا وكلاهما مخلوق فأخبر لذلك أبو عبيد فاستحسنه وأعجبه

الدليل الثاني : التكرار والتأكيد فالقرآن تكرر فيه التصريح بإثبات صفات الله وكذلك السنة ومن المعلوم م أن الله وصف القرآن بأن الله لا يأتيه الباطل من بين يديه ووصفه بأنه نور وبأنه تبيان لكل شئ وأثبت لرسوله أنه إنما يتكلم بوحي فقال : وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى وقد ثبت أنه أفصح العرب وكل ذلك يؤكد أن الصفات كلها فيها على معانيها الحقيقية لا غير ولا دليل أن المراد خلافها

الدليل الثالث : بتصريح الصحابة بما يفيد إثبات الصفات على حقيقتها فمنه قول ابن عمر رضي الله عنه لما قدم الشام فاستقبله الناس وهو على بعيره فقالوا : يا أمير المؤمنين لو رحلنا بروجنا تلقاء عظماء الناس ووجوههم فقال عمر : لا أراكم ههنا إنما الأمر من ههنا وأشار بيده إلى السماء وقول زينب رضي الله عنها عن علو الله تعالى : زوجكن أهاليكن وزوجني الله تعالى من فوق سبع سموات ((أخرجه البخاري في صحيحه)) وقول عائشة رضي الله عنها في كلام الله ولشأنني كان أحقر في نفسي من أن يتكلم الله عز وجل في بأمر يتلى ((أخرجه مسلم)) وكقولها في صفة السمع الحمد لله الذي وصح سمعه الأصوات ((أخرجه البخاري في صحيحه)) إلى غير ذلك من النصوص عن الصحابة الكرام رضي الله عنهم وهم أعلم الناس بمقاصد الشرع بل وقد ثبتت له الخيرة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : خير الناس قربي ثم الذين يلونهم إلى آخر الحديث وأخرجه مسلم وأطلق الخيرة الشاملة للعلم والعمل

المسألة الثانية : البحث عن التفويض والتأويل

أجمع أهل السنة والجماعة على أن كيفية الصفات غير معلومة وأنه لا سبيل ولا يجوز أن يفهم من كلامهم أن معنى نصوص الصفات غير معلوم

التفويض خال عن أربعة أمور فلا بد من تعريف ههنا

١ - التمثيل قال الشيخ العثيمين - رحمه الله - ذكر مما حل للشئ وبينه وبين التكيف عموم وخصوص مطلق لأن كل مثل مكيف وليس مكيف ممثلاً ' لأن المكيف ذكر كيفية غير مقرونة بمماثل مثل أن نقول لي قلم كيفية كذا وكذا فإن قرنت بمماثل صار تمثيلاً

٢ - التكيف ذكر مواصفات الشئ

٣ - تحريف لغة التغيير وهو إما لفظي أو معنوي فالتعريف اللفظي يعني تغيير للشكل وهذا يقع نادراً وأما التحريف المعنوي فهو تغيير المعنى وتغيير المعنى يسميه القائلون به تأويلاً وقال الشيخ العثيمين : لأن التأويل لا تنفر منه النفوس ولا تكرهه لكن ما ذهبوا إليه في الحقيقة تحريف أنه ليس عليه دليل صحيح إلا أنهم لا يستطيعون أن يقولوا تحريفاً ولو قال هذا التحريف لأعلن على أنفسهم لرفض كلامهم

٤ - تعطيل : معناه التخلية والترك كقوله تعالى : وبئر معطلة أي مخلاة متروكة والمراد به : إنكار ما أثبت الله لنفسه من الأسماء والصفات سواء كان كلياً أو جزئياً . والتحريف يكون في الدليل والتعطيل في المدلول ومما سبق يتبين أن التفويض هو

تفويض الكيفية إلى الله وعلى منطق هذا التعريف يكون هذا السلوك سلوك السلف والأئمة ولكن هناك من يقول بالتفويض بحيث أنه هو شر أقوال أهل البدع والإلحاد وهو أن يقول الرجل عند ما يسمع التفويض هذا حيد أسلم من هؤلاء وهؤلاء لا أقول بمذهب السلف ولا أقول بمذهب أهل التأويل وإنما أسلك سبيلا وسطا واسلم من هؤلاء قاطبة والله أعلم لا ندري معناه

والتأويل له معان متعددة قال الشيخ العثيمين :

١ - يكون بمعنى التفسير كقول حثير من المفسرين عندما يفسرون الآية يقولون تأويل قوله كذا وكذا ثم يذكرون المعنى وسمي التفسير تأويلا لأننا أولنا الكلام أي جعلناه يؤول إلى معنى المراد به

٢ - تأويل بمعنى عاقبة الشيء وهذا إن ورد في طلب فتأويله فعله إن كان أمرا وتركه إن كان نهيًا إن كان في خبر فتأويل وقوعه

٣ - المعنى الثالث للتأويل صرف اللفظ عن ظاهره وهذا النوع ينقسم إلى محمود ومذموم فإن حل عليه دليل فهو محمول ويكون من القسم الأول وهو التفسير وإن لم يدل عليه دليل ويكون من باب التحريف وليس من لبب التأويل (٣١) قسم ابن القيم الجوزية التأويل إلى صحيح وباطل نقول بالتخليص قال فالتأويل الصحيح هو القسم الأولان وهما حقيقة المعنى وما يؤول إليه في الخارج أو تفسيره وبيان معناه وهذا التأويل يعم المحكم والمتشابه والأمر والنهي ثم ساق بعد الصحيح التي استدلل به على تعريفه ثم قال وبالجمللة فالتأويل الذي يوافق ما دلت عليه النصوص وجاءت به السنة يطابقها هو التأويل الصحيح والتأويل الذي يخالف ما دلت عليه النصوص وجاءت به السنة هو التأويل الفاسد ولا فرق بين باب النهي والأمر في ذلك وكل تأويل وافق ما جاء به الرسول فهو القبول وما خالفه فهو المردود فالتأويل الباطل أنواع ((٣٢))

١ - ما لم يحتمله اللفظ بوضعه كتأويل قوله ((حتى يضع رب العزة رجله)) (٣٣) بأن الرجل جماعة من الناس فإن هذا لا يعرف في شيء من لغة العرب البتة

٢ - ما لم يحتمله سياقه وتركيبه وإن احتمل في ذلك السياق كتأويل قوله ((إنكم سترون ربكم عيانا)) (٣٤) فتأويل الرؤية في هذا السياق به يخالف حقيقتها وظاهرها في نهاية الامتناع وهو رد تكذيب وتستر بالتأويل .

٣ - ما لم يستعمل استعمال في ذلك المعنى في لغة المخاطب وإن ألف في الاصطلاح الحادث وهذا موضع زلت فيه أقدام كثير من الناس وظلت فيه أنفاسهم حيث تأولوا كثيرا من ألفاظ النصوص بما يؤلف استعمال اللفظ له في لغة العرب البتة وإن كان معهودا في اصطلاح المتأخرين وهذا مما ينبغي التنبيه له فإن حصل بسببه من الكذب على أنه ورسوله ما حصل قوله كتأويل قوله ثم استوى على العرش بان المعنى أقبل على خلق العرش فإن هذا لا يعرف في لغة العرب .

٤ - وما لم يحتمله اللفظ بينيته الخاصة من تشبيه أو جمع وإن احتمله مفردا كتأويل قوله لما خلقت بيدي بالقدرة

٥ - ما ألف استعماله في ذلك المعنى لكن في غير التركيب الذي ورد به النفس فيحمله المناول في هذا التركيب الذي لا يحتمله على مجيئه في تركيب الآخر يحتمله وهذا من أقبح الغلط والتلبس كتأويل اليمين بالنعمة

- ٦ - اللفظ الذي اطرده استعماله في معنى هو ظاهر فيه ولم يعهد استعماله في معنى المؤول أو عهد استعماله فيه نادرا كتأويله حيث ورد.....
- ٧ - كل تأويل يعود على أصل النص بالإبطال فهو باطل
- ٨ - تأويل اللفظ الذي له معنى ظاهر لا يفهم منه عند اطلاقه سواء بالمعنى الحقيقي الذي لا يصلح عليه إلا أفرد من أهل النظر
- ٩ - التأويل الذي وجب تعطيل المعنى الذي هو غاية العلو والشرف ويحله لا معنى دونه بمراتب كثيرة
- ١٠ - تأويل اللفظ الذي بمعنى لم يدل عليه دليل من السياق ولا معه قرينة تقتضيه عندها

الهوامش :

١. البقرة ٢-٣
٢. بني اسرائيل ٣٦
٣. الاعراف ٣٣
٤. المسائل والرسائل المروية عن الامام احمد في العقيدة ٣٧٦/١
٥. معالم التنزيل ٣٠٧/٣
٦. بني اسرائيل ١١٠
٧. يونس ١٠٧
٨. الحشر ٢٢-٢٣-٢٤
٩. اخرجه الامام احمد في مسنده ٣٩١/١-٢٦٧/٥-١٥٣/٦
١٠. والالكائفي شرح اصول اعتقاد اهل السنة والجماعة ٢١١/٢ وابو نعيم في حلية الاولياء ١١٣/٩
١١. اخرجه عنه لاللكائي شرح اصول اعتقاد اهل السنة والجماعة ٢١٤/٢
١٢. النقض على بشر المريسي ص ١٣
١٣. مجموع الفتاوى ١٨٦/٦
١٤. اخرجه البخاري ٧٣٩٢
١٥. النحل: ٨٩
١٦. النحل ٤٤
١٧. اخرجه الدارقطني في الصفات ص ٧٥

١٨. شرح اصول اعتقاد اهل السنة والجماعة ج ١ ص ١٦٤

١٩. وهذه النقول ضمن كتاب منهج الأشاعرة ص ٤٥٨-٤٥٩

٢٠. مجموع الفتاوى ج ٥/٢٥٦-٢٥٧

٢١. البداية والنهاية : ١/٢٦٥

٢٢. النحل ٦

٢٣. الروم ٢٧

٢٤. الصفات ١٨٠-١٨١-١٨٢

٢٥. التوبة ١٢٨

٢٦. الاحزاب ٤٣

٢٧. الانفال ٣٠

٢٨. شرح العقيدة الواسطية ١/٨٨

٢٩. الصواعق المرسلات ١/١٨١

٣٠. البخاري ٤٨٤٨ باب قول الله وتقول هل من مزيد

٣١. البخاري ٧٤٣٥ باب قول الله وجوه يومئذ ناظرة

الفصل السابع : منهج الأشاعرة في توحيد الأسماء والصفات

المطلب الأول : المسائل المتعلقة بالصفات عند الأشاعرة

المسألة الأول : مناقشتهم في إثبات استواء الله والعلو

إطلاق صفة علوه على جميع المراتب

قال الله : سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى

قال الله تعالى : وما لأحد عنده من نعمة تجزي (١٩) إِلَّا ابْتَغَاءَ وَجْهَ رَبِّهِ الْأَعْلَى

قال الله : عَالَمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرَ الْمُتَعَالِ

قال الله : قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذَا لَابْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا

ورد العلو مختصا بالعرش الذي هو أعلى المخلوقات

سورة الأعراف : الآية ٥٤

سورة يونس : الآية ٣

سورة الرعد : الآية ٢

سورة طه : الآية ٥

التصريح بعروج الأشياء إليه

سورة فاطر : الآية ١٥

سورة النساء : الآية ١٥٨

سورة السجدة : الآية ٥

سورة المعارج : الآية ٣ - ٤

التصريح بنزول القرآن منه

سورة النحل : الآية ١ - ٢

سورة الزمر : الآية

سورة فاطر : الآية ٢

التصريح بأنه سبحانه في السماء

سورة الملك : الآية ١٦ - ١٧

سورة طه : الآية ٧١

التصريح بالفوقية

سورة النحل : الآية ٥٠

سورة الأنعام : الآية ١٨ و ٦١

سورة الحاقة : الآية ١٧

سورة آل عمران : الآية ٥٥

سورة النساء : الآية ١٥٨

تحقيق علو الله على عرشه بالدلائل النوية

روى معاوية بن الحكم رضي الله عنه أنه أتى بجارية إلى النبي صلى الله عليه وسلم ليعتقها فقال لها : أين الله قالت في السماء قلل من أنا قالت أنت رسول الله قال أعتقها فإنها مؤمنة

وعن أبي هريرة قال : أنت فاطمة رسول الله فسألته خادما ؟ فقال لها : قولي الله رب السموات السبع ورب العرش العظيم ربنا ورب كل شيء منزل التورات والإنجيل وقال مرة : والقرآن العظيم فالحق الحب والنوى أعوذ بك من كل ذي شر أنت آخذ بناصيته أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وأمن الباطن فليس دونك شيء اقض عنا الدين وأغننا من الفقر

وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة العصر وصلاة الفجر ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم وهو أعلم بهم كيف تركتم عبادي فيقولون تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون

وفي خبر ابن نعيم عن ابن سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم في قسمة الذهن التي بعث بها على ابن أبي طالب من اليمن قال النبي صلى الله عليه وسلم أنا أمين من في السماء. ٢

وعن البراء في قصة قبض روح المؤمن وروح الكافر قال في قصة قبض روح المؤمن فيقول : ايتها النفس الطيبة المطمئنة اخرجي الى مغفرة من الله ورضوان قال : فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من السماء لا يتركونها في يده طرفة عين فيصعدون بها الى السماء فلا يمرون بها على جند من الملائكة إلا قالوا : ما هذه الروح الطيبة فيقولون فلأن باحسن اسمائه فاذا انتهى به الى السماء فتحت له ابواب السماء ثم يشيعه من كل سماء مقربوها الى السماء التي تليها حتى ينتهي بها الى السماء السابعة ثم يقال : اكتبوا كتابه في عليين .

فاتى باب الجنة فيفتح لى فاتى ربي تبارك وتعالى وهو على كرسيه او سريه فاخر له ساجدا. ٣

ينزل تبارك وتعالى كل ليلة الى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول من يدعوني فاستجب له من

يسألني فاعطيه من يستغفري فاغفر له حتى يطلع الفجر . ٤

انتم تسالون عنى فما انتم قائلون؟ قالوا نشهد انك بلغت واديت ونصحت فقال باصبعه السبابة يرفعها الى السماء

وينكتها الى الناس : اللهم اشهد . ٥

لقد فيهم بحكم الله الذى حكم به من فوق سبع سموات. ٦

تحقيق الاجماع

واما دليل الاجماع فقد اجمع الصحابة والتابعون لهم باحسان واعلام اهل السنة والجماعة قاطبة على انه ارتفع على خلقه واستوى على عرشه وكلامهم فى ذلك مستفيض ومتواتر .

وقد حكى ابو عبد الله القرطبي المالكي اجماع السلف ان الله فى جهة العلو ونص كلامه قد كان السلف الاول لا يقولون بنفى الجهة ولا ينطقون بذلك بل نطقوهم والكافة باثباتهم لله تعالى كما نطق كتابه واخبرت رسله ولم ينكر احد من السلف الصالح انه استوى على عرشه حقيقة . (7)

وقال الحافظ ابن عبد البر فى التمهيد (١٤٥/٦) : اهل السنة مجمعون على الاقرار بالصفات الواردة كلها فى القرآن والسنة . والإيمان بها وحملها على الحقيقة لا على المجاز إى أنهم لا يكيفون شيئا من ذلك ولا يحدون فيه صفة محصورة .
واما اهل البدع والجهمية والمعتزلة كلها والخوارج فكلهم ينكرونها ولا يحملون شيئا منها على الحقيقة ويزعمون ان من اقر بها مشبه وهم عند من اثبتها نافون للمعبود .

قال ابن كثير رحمه الله : واما قوله تعالى ثم استوى على العرش فللناس فى هذا المقام مقالات كثيرة جدا ليس هذا موضوع بسطها وانما نسلك فى هذا المقام مذهب السلف الصالح مالك والاوزاعى والثوري والليث بن سعد والشافعي واحمد واسحاق بن راهويه وغيرهم من ائمة المسلمين قديما وحديثا وهو امرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل والظاهر المتبادر الى اذهان المشبهين منفى عن الله لا يشبهه شئ من خلقه ((وليس كمثله شئ وهو السميع البصير)) بل الامر كما قال الائمة منهم نعيم بن حماد الخزاعى شيخ البخاري : قال : من شبه الله بخلقه كفر وليس فيما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيه فمن اثبت لله ما وردت به الايات الصريحة والاخبار الصحيحة على الوجه الذى يليق بجلال الله ونفى عن الله النقائص فقد سلك سبيل الهدى . (٨)

قول شيخ الاسلام ابن تيمية : موقف الدين ابي محمد عبد الله بن احمد المقدسى : نؤمن به ولا نرده ور نجحده ور نعتقد فيه تشبيه بصفات المخلوقين ولا سمات للمحدثين بل نؤمن بلفظه نترك التعرض لمعناه قرتته وتفسيره . ومن ذلك قوله تعالى ((الرحمن على العرش استوى)) وقوله الامتنع من في السماء)) وقول النبي صلى الله عليه وسلم ربنا الذي في السماء وقوله للجارية : اين الله قالت في السماء قال اعتقها فانها مؤمنة وروى ابو داود في سننه لن النبي قال ان ما بين سماء الى سماء مسيرة كذا وكذا وذكر الحديث الى ان قال : وفوق ذلك العرش والله فوق ذلك نؤمن من بذلك وتلقاه بالقبول من غير رد له ولا تعطيل ورتشبيه ولا تأويل ولا نتعرض له بكيف ولما سأل مالك بن انس رضى الله عنه فقيل له يا ابا عبد الله : الرحمن على العرش استوى كيف استوى فقال : الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول والايان به واجب والسؤال عنه بدعة (٩)

وقال بذلك ابو حامد احمد الاسفرايينى والشافعى وبو بكر محمد بن اسحاق بن خز وعبد العزيز يحيى وجريز بن عبد الحميد وعبد الله بن الزبير الحميدى ونعيم بن حماد الخزاعى وعبد الله بن ابي جعفر الرازى والحافظ لبي معمر ولبو جعفر محمد بن جرير الطبرى وسعيد بن على وابو القاسم الطبرى ومحيى السنة الحسين بن مسعود البغوى والامام احمد بن حنبل رحمه الله وابو عمرو الاوزاعى وعبد الله بن مبارك وحماد زيد ويزيد بن هارون عبد الرحمن بن مهدي وسعسد بن عامر الضبعى وعباد بن العوام وعبد الله بن مساعة القعنبي وعلى بن عاصم ووهب بن جرير وعاصم بن على وقال ايضا جهابذة المفسرين منهم عبد الله بن عباس وعبد الله بن مسعود ومجاهد وابو العالية وعكرمة وسعيد بن جبير والضحاك محمد بن كعب القرطبي والحسن البصري ومسروق ومقاتل وعبيد بن عمير وكعب الاحبار وبشر بن عمر شيخ اسحاق ويحيى بن نافع. (١٠)

أقاويل ائمة اللغة في ذلك

وقال الاخفش : علا وقال داود الاصفهاني كنت عند ابن الاعرابي فاتاه رجل فقال ما معنى قول الله عز وجل : الرحمن على العرش استوى فقال ابن الاعرابي هو على عرشه كما اخبر فقال : يا ابا عبد الله انما معناه استولى فقال ابن الاعرابي ما يدريك العرب لا تقول استولى على الشيء حتى يكون له مضاد فايهما غلب فقد استولى اما سمعت قول النابغة (البسيط ٤٣٤/٢

سبق الجواد اذا استولى على الامد

إلا لمثلك او من انت سابقه

وسأل مالك بن انس : استولى كيف استوى ؟ فقال الكيف غير معقول والاسنواء غير مجهول والايان به واجب والسؤال عنه بدعة (١١)

وقال ابو عبيدة معمر المثنى : استوى بمعنى علا تقول العرب : استويت على ظهر الفرس بمعنى علوت عليه واستويت على سقف البيت بمعنى علوت عليه وذكر عن الخليل كما ذكره ابو المظفر في كتابه الافصح قال سأل الخليل هل وجدت في اللغة استوى بمعنى استولى فقال هذا ما لا تعرفه العرب ولا هو جائز في لغتها.(١٢)

قال ابن كثير : والجهمية تستدل على الاستواء على العرش بانه الاستيلاء بيت الاخطل فيها مدح به بشر بن مروان وهو قوله :

قد استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مهباق

وليس فيه دليل فان هذا الاستدلال باطل من وجوده كثيرة وقد كان الاخطل نصرانيا.(13)

وقد انشد جمع غفير بان الله فوق العرش واستوى عليه

قال محمد بن عثمان الحافظ صح عن حبيب بن لي ثابت عن حسان انه انشد النبي صلى الله عليه وسلم شعرا:

شهدت باذن الله ان محمدا رسول الله فوق السموات من علا

قال ابو عمرو بن عبد البر صح عن عبد الله رواحة ان امرأته رأت مع جارية قد ذهبت لتاكل سكيئا فقال ما فعلت فقالت بلى : قد رأيتك قال : فان رسول الله قد نهى الجنب عن قراءة القرآن قالت فاقرا فقال شعرا:

وان العرش فوق الماء طاف وفوق العرش رب العالمين

فانشد عدى بن اربعة

تعالى علوا فوق سبع الهنا وكان مكان الله اعلى واعظمها

وانشد لبيد بن ربيعة اجد شعراء الجاهلية

سوى فاعلى دون غرفة عرشه سبعا طباقا دون فرع المعقل

ذكرما انشد النبي من شعر امية بن ابي الصلة

بالناء الاعلى الذى سبق الخلق وسوى فوق السماء سريرا

ومن شعره ذكر ابن عبد البر

ملك على عرش السماء مهيمن لعزته تعنوا الوجوه وتسجد

انشد اسماعيل بن فلان الترمذى للإمام احمد بن حنبل في محسنه

علا في السموات العلى فوق عرشه الى خلقه في البر والبحر ينظر

يحيى بن يوسف بن يحيى بن منصور الصرصرى الانصارى الامام فى اللغة والفقه والسنة والزهد والتصوف قال فى قصيدة العينية التى اولها

قضى خلقه ثم استوى فوق عرشه ومن علمه لم يخل فى الارض موضع

وفيهما : قضى خلقه ثم استوى على فوق عرشه تقدسى كرسى له وسرير

وهذه الايات اكبر دليل على ان الاستعمال المؤلف الحقيقى فى الاستواء الارتفاع والعلو

استوى بشر على العراق

لفظ مجازى لا يجوز حمل الكلام عليه مع قرينة تدل على ارادته واللفظ المشترك بطريق الاولى ومعلوم انه ليس فى الخطاب قرينة انه اراد بالاية الاستيلاء وأيضا فاهل اللغة قالوا لا يكون لستوى بمعنى استولى إلا فيما كان منازعا مغالبا فاذا غلب احدهما صحابه قبل استولى : والله لم ينازعه احد فى العرش فلو ثبت استعماله فى هذا المعنى الاخص مع النزاع فى ارادة المعنى الاعم لم يجب حمله عليه لمجرد قول بعض اهل اللغة مع تنازعهم فيه وهؤلاء ادعوا انه بمعنى استولى فى اللغة مطلقا .

والاستواء فى القرآن فى غير موضع مثل قوله : استويت انت ومن معك على الفلك واستوى على الجودى . ((لتستووا على ظهوره)) وفى حديث عدى : ان رسول الله اتى بدابته فلما وضع رحله فى الغرر قال ((بسم الله)) فلما استوى على ظهرها قال ((الحمد لله)) لكان المعنى المعروف فى الكتاب والسنة وهو الذى يراد به ولا يجوز ان يراد معنى اخر . (14).

وبعضهم يستدلون على الاستيلاء بالبيتين الاتيين

فلما علون واستوينا عليهم تركناهم صرعى لنسر وكاسى (15)

لكن استدلالهم به ضعيف متناقض لما يظنون من تحقيق معنى الاستيلاء والبيت مصرح بان الاستواء معناه العلو كلاهما مترادفان لأن نقدين البيت على القاعدة النحوية فلما علونا عليهم واستوينا عليهم فلما كان للعلو فى سيق البيت معنى القهر والاستيلاء كان للاستواء معنى الاستيلاء مجاز لا حقيقة البتة وهل من مدعى ان للعلو معنى الاستيلاء حقيقة

وكذلك هل من مدعى ان للإستواء معنى الاستيلاء حقيقة ولذلك انكر ائمة اللغة ان يكون للإستواء معنى الاستيلاء فحسبنا بهم دليلا - في موضع لا يدل سياقه على القهر والسيطرة بل هو غير معهود ومألوف عندهم وسياق قول الله الرحمن على العرش استوى بعيد كل البعد عن هذا المنطق المجازى لأن الله هو الخالق المالك المتصرف للعرش * هذا البيت ليس من شعر العرب لأنه لم يأتى نقل صحيح انه شعر عربي . وهو غير معروف في شئ من دواوين العرب واشعارهم التي يرجع اليها .

* هذا البيت لا يعرف له اصل في التاريخ ولا يعلم قائله . مما يدل على انه مصنوع للإحتجاج به.

* ان هذا البيت محرف وانما هو :

بشر استولى على العراق من غير سيف ولا دم مهراق

* لو صح هذا البيت . وصح انه غير محرف لم يكن فيه حجة لهم بل هو حجة عليهم لأن بشرا كان اخا للخليفة الاموي عبد الملك بن مروان . وكان اميرا على العراق فاستوى عليها كما هو عادة الملوك ان يجلسوا فوق سرير الملك وهذا مطابق لمعنى هذه اللفظة في اللغة كقوله تعالى لتستوا على ظهوره

فهذا البيت يناسب مقام بشر . ولكن لا يناسب مقام الالهية

قال شيخ الاسلام ابن تيمية فان قيل اذا كان الله لا يزال عاليا على المخلوقات كما تقدم فكيف يقال : ثم استوى الى السماء وهي دخان او يقال : ثم علا على العرش قيل هذا كما اخبر انه ينزل الى السماء الدنيا ثم يصعد وروى ((ثم يعرج)) وهو سبحانه لم يزل فوق العرش فان صعوده من جنس نزوله : واذا كان في نزوله لم يصير شئ من المخلوقات فوقه فهو سبحانه يصعد وان لم يكن شئ منها فوقه . (١٦)

وقال الشيخ العثيمين ردا على نفاة صفة العلو ان نفيكم للجهة يستلزم نفي الرب عز وجل اذ لا نعلم شيئا لا يكون فوق العالم ولا تحته ولا يمين ولا شمال ولا متصل ولا منفصل إلا العدم ولهذا قال بعض العلماء لو قيل لنا صفو الله بالعدم ما وجدنا اصدق وصفا للعدم من هذا الوصف .

ثانيا : قولكم اثبات الجهة يستلزم التجسيم نحن نناقشكم في كلمة الجسم ما هذا الجسم تنفرون الناس عن اثبات صفات الله من اجل .

اتريدون بالجسم الشئ المكون من الاشياء مفتقر بعضها الى بعض لا يمكن ان يقوم إلا باجتماع هذه الاجزاء ؟ فان اردتم هذا فنحن لا تقره ونقول ونقول ان الله ليس بجسم بهذا المعنى ومن قال ان اثباته علوه يستلزم هذا الجسم فقلوه مجرد دعوى ويخصنا ان نقول :

لا قبول اما ان اردتم بالجسم الذات قائمة بنفسها المتصفة بما يليق بها فنحن نثبت ذلك ونقول ان الله تعالى ذاتا وهو قائم بنفسه متصف بصفات الكمال وهذا هو الذى يعلم به كل انسان . وبهذا يتبين بطلانه قول هؤلاء الذين اثبتوا ان الله بذاته في كل مكان او ان الله تعالى ليس فوق العالم ولا تحته ولا متصل ولا منفصل وتقول هو على عرشه استوى عز وجل.

المسألة الثانية: اثبات صفة الكلام لله

الآيات الواردة في ذلك:

* الله ((قل لو كان فى الأرض مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا)) (17)

* ((ولو انما فى الأرض من شجرة اقلام والحجر معه من بعده سبعة ابحر ما نفدت كلمات الله)) (18)

* يسمعون كلام الله ثم يحرفونه. (19)

* يريدون أن يبدلوا كلام الله. (20)

* واتل ما اوحى اليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته. (٢١)

* ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين. (٢٢)

* ويحق الحق بكلماته ولو كره المجرمون. (٢٣)

* ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين. (٢٤)

* إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون. (٢٥)

* وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والنار اجمعين. (٢٦)

* وإن احد من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله. (٢٧)

* وتمت كلمة ربك الحسنى على اسرائيل بما صبروا. (٢٨)

وهناك آيات عديدة تدل علي إثبات صفة القول وهو والكلام عبارتان عن معني واحد :

* يقول الله : ولكن حق القول مني . (٢٩)

* لقد حق القول علي أكثرهم (٣٠)

* ما يبذل القول لدي . (٣١)

* ومن اصدق من الله قيلا . (٣٢)

* ومن اصدق من بالله حديثا . (٣٣)

* سلام قولاً من رب الرحيم . (٣٤)

* فالحق والحق اقول . (٣٥)

هناك أحاديث تثبت صفة التكلم والتكليم

* عن أبي هريرة رضي الله عنه قال . قال رسول الله صلي الله عليه وسلم وذكر الحديث . وقال : قال آدم انت موسى اصطفاك الله بكلامه ورسالتهم كلكم تكليماً (٣٦)

* عن عبد الله قال . قال رسول الله : اذا تكلم الله بالوحي سمع اهل السماء صلصلة كجبر السلسلة على الصفا فيصعقون فلا يزالون كذلك حتي ياتيهم جبرل فاذا اتاهم جبريل فزع عن قلوبهم فيقولون يا جبريل ماذا قال ربك قال يقول الحق قال : فينا دون الحق الحق . (٣٧) .

* عن عبد الله : اذا تكلم الله بالوحي سمع اهل السماوات للسماوات صلصلة كصلصلة فيقولون قال : الحق وهو العلي الكبير . (٣٨)

* عن صفوان بن محرز قال : كنت آخذاً بيدي الي عمر رضي الله عنه فاتاه رجل فقال : كيف سمعت رسول الله يقول في النجوي قال سمعت رسول الله يقول ان الله عز وجل يدني المؤمن يوم القيامة حتي يضع عليه كنفه ثم يقول اي عبدي تعرف ذنب كذا وكذا فيقول نعم ربي حتي اذا قرره بذنوبه وراي في نفسه أنه قد اهلك قال فاني سترتها عليك في الدنيا وغفرتها لك اليوم ثم يعطي كتاب حسناته واما الكفار والمنافقون فيقول الشهاد هؤلاء ال ذين كذبوا علي ربهم إلا لعنة الله علي الظالمين (٣٩)

* عن أبي هريرة رضي الله عنه قال . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى : يؤذيني ابن آدم بئس الدهر وانا الدهر بيدي المر اقلب الليل والنهار (٤٠)

* عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : بينما ايوب يغتسل عرياناخر عليه رجل جرادا من ذهب فجعل يحثي في ثوبه فنادي ربه ياايوب ألم اكن اغتسلك عما تري ؟ قال بلي يا رب ولكن لأغني بي عن بركتك . (٤١)

* عن زيد بن خالد : قال مطرانبي صلى الله عليه وسلم قال : قال الله اصبح من عبادي كافري ومؤمن بي . ٧.

* عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : قال الله تعالى : اعددت لعبادي الصالحين ما لاعين رأت ولاأذن سمعت ولاخطر علي قلب بشر (٤٢)

* عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : قال الله : اذا احب عبادي لقائي احببت لقاءه واذا كره لقائي كرهت لقاءه . (٤٣)

* عنه عبد الله بن انيس قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم ، يقول يحشر الله العباد فيناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب : انا الملك انا الديان . (٤٤)

والجهمية انكرت أن الله كلم موسى فقال : ان الله لم يتكلم ولايتكلم انما كون شيئا فعبر عن الله وخلق صوتا فاسمعه وزعموا أنالكلام لا يكون إلا من جوف ولسان وشفنتين .

فقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : فقلنا : هل يجوز أن يكون لمطون غير الله أن يقول يا موسى إني انا ربك او يقول إني انا الله لاإله إلا انا فا عبدني فاقم الصلاة لذكرى)) فمن زعم أن ذلك غير الله فقد ادعي الربوبية ولو كان كما زعم البجهمي أن الله كون شيئا كان يقول ذلك المكون : يا موسى أن الله رب العالمين ولا يجوز أن يقول ان يانا الله رب العالمين .

وقال جل ثنائه : وكلم الله موسى تكليما : وقال ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه))

وقال : اني اصطفتك علي الناس برسالاتي وبكلامي))

واما ما قلوا : إن الله لم يتكلم ولم يكلم فكيف يصنعون بحديث الاعمش عن خيشمة عن عدي بن حاتم الطي قال : قال رسول الله من منكم من احدثة إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان . (٤٥)

واما قولهم إن الكلام لا يكون إلا من جوف وفم وشفنتين ولسان فنقول اليس الله قال للسماوات والارض (٥) اتينا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين)) اترأها لانهما قالت بجوف وفم وشفنتين ولسان ؟

وقال ((وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير)) اترأها أنها يسبحن بجوف وفم وشفتين ولسان ؟ ولكن الله انطقها كيف شاء وكذلك الله تكلم كيف شاء من غير أن نقول جوف ولا فم ولا شفتان ولا لسان

قالوا : هذا كله إنما يكون شيئاً فيعبر عن الله .

فقلنا : قد اعظم علي الله الفرية حين زعمتم أنه لا يتكلم فشبهتموه بالاصنام التي تعبد مدون الله لأن الأصنام لا تتكلم ولا تتحرك ولا تزول من مكان الي مكان .

وقال علامة العراق محمود شكري الآلوسي في تفسيره ((روح المعاني)) الذي انتهى اليه كلام ائمة الدين : أنموسيب عليه السلام سمع كلام الله تعالى بحرف وصوت كما تدل عليه النصوص التي بلغت في الكثرة مبلغا لا ينبغي يجمعه تاويل ولا يناسب في مقابلته قيل وقال بل قدورد في اثبات الصوت لله تعالى احاديث لا تحصى ((٤٦)

وقال علامة العراق محمود شكري الآلوسي في تفسيره ((روح المعاني)) ((تكليما)) مصدر مؤكد رافع احتمال المجازعلي ما ذكره غير واحد وظهر فيه الشهاب بانه مؤكد للفعل فيرفع المجاز عنه واما يرفعه المجاز عن الإسناد بان يكون المكلم رسله من الملائكة كما يقال قال الخليفة كذا اذا قاله وزيره فلامع أنه أكد الفعل . والمراد به معنى مجازي كقول هند بنت النعمان في زوجها روحبن زنباع وزير عبد الملك بن مروان

بكى النحر من روح وانكره جلده وعجبت عجيبا من جذام المطتف فأكدت عجبت مع أنه مجاز لأن الثياب لا تعجب وما نقل عن الفراء من أن العرب تسم بما لاوصل الي الإنسلن كلاما باى طريق وصل ما لم يؤكد بالمصدر فاذا أكد لم يكن إلا حقيقة الكلام لا بالمقصود اذ نهاية ما فيه رفع المجاز عن الفعل في هذه المادة ولا تعرض له لرفع المجاز عن الإسناد فللخصم أن يقول : التكليم حقيقة إلا أن اسناده الي الله تعالى مجاز ولا تقوم الآية حجة عليه إلا بنفي ذلك الحتمال نعم انها ظاهرة فيما ذهب اليه اهل السنة والجماعة .(٤٧)

وقال ابو عبد الله محمد بن الأنصارى القران في تفسيره ((الجامع لأحكام القرآن)) (وكلم الله موسى تكليما)مصدر معناه التاكيديدل علي بطلان من يقول خلق لنفسه كلاما في شجرة فسمعه موسى بل هو الكلام الحقيقي الذي يكون به المتكلم متكلم .

قال النحاس : اجمع النحويون علي أنك اذا أكدت الفعل بالمصدر لم يكن مجازا وأنه لا يجوز في قول الشاعر :

امتلأ الحوض وقال قطني أن يقول قال قولاً فكذا

لما قال ((تكليما)) وجب أن يكون كلاماعلي الحقيقة من الكلام الذي يعقل .(٤٨)

قال الإمام الشوكاني ((تكليما)) مصدر مؤكد وفائدة التأكيد دفع لاتوهم كون التكليم مجازا . (٤٩)

قال ابن القيم رحمه الله: ولفظ النداء اللاهي قد تكرر في الكتاب والسنة تكررا مطردا في محاله متنوعا تنوعا يمتنع حمله علي المجاز فا خبر تعالي أنه نادي الابوين في الجنة ونادي كليمه وأنه ينادي عباده يوم القيامة وقد ذكر الله النداء في تسعة مواضع من القرآن اخبر فيها عن ندائه بنفسه ولا حاجة الي يقيد النداء بالصوت فانه بمعناه وحقيقته باتفاقاهل اللغة فاذا انتفى انتفى النداء قطعاً : كما في الحديث الذي رواه البخارعن ابي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلي الله عليه وسلم قال ((اذا قضي الله في السماء ضربت الملائكة باجنحتها خضعانا لقوله كانه سلسلة علب صفوان قال علي : وقال غيره صفوان ينفذهم ذلك فاذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم : قالوا : الحق وهو العلي الكبير)) (٥٠) وروي البخاري عن ابن مسعود ((اذا تكلم الله سمع اهل السماوات شيئا فاذا فزع عن قلوبهم وسكن الصوت عرفوا أنه الحق ونادوا ((ماذا قال ربكم قالوا : الحق)) وفي الحديث الذي رواه البخاري واحمد عن عبدالله بن انيس قال سمعت النبي صلي الله عليه وسلم يقول ((يحشرالله العباد فيناديهم بصوت يسمعون بعد كما يسمعه من قرب انا الملك انا الديان)) وفي الصحيحين عن ابي هريرة رضي الله عنه قال ((اذا احب الله عبدا نادى جبريل أناالله قد احب فلانا فاحبه)) الحديث . والذي تعقله الأئمة من النداء انها هو الصوت المسموع كما قال تعالي ((واستمع يوم ينادى المنادي من مكان قريب)) (٥١) وقال ((إن الذين ينادونك من وراء الحجرات)) (٥٢) وهذا النداء هو رفع اصواتهم الذي نهي الله عنه وكلما في القرآن العظيم من ذكر كلامه وتكليمه وامره ونهي دال علي انه تكلم حقيقة لا مجازا وكذا نصوص الوحي الخاص كقوله ((انا اوحينا اليك كما اوحينا الي نوح)) (٥٣) وقد نوع الله هذه الصفة في اطلاقها عليه تنويعا يستحيل معه نف يحقائقها بل ليس في الصفات الآهية من صصفة الكلام والعلو والفعل والقدرة بل حقيقة الإرسال تبليغ كلام الرب تبارك وتعالى : واذا انتفى منه حقيقة الكلام انتفى حقيقة الرسالة والنبوة والرب تباركوتعالى يخلق بكلامه وقوله كما قال تعالي : إنما قولنا لشيئا اذا اردناه أنقول له كن فيكون . فاذا انتفى حقيقة الكلام انتفى الخلق وقد عاب الله آلهة المشركين بانها لا تكلم عابديها ولا ترجع اليهم قولا . (٥٤)

المسألة الثالثة : اثبات صفة النزول لله الي سماء الدنيا كل ليلة

ذكر أخبار ثابتة السند صحيحة القوام رواها علماء العراق والحجاز عن النبي صلي الله عليه وسلم في نزول الرب جل وعلا الي سماء الدنيا كل ليلة

*قال ابو اسحاق اخبرنا قال سمعت الغر قال اشهد علي ابيهريرة وابي سعيد الخدري أنهما شهدا علي رسولالله أنه قال أناالله يمهل حتي يذهب ثلث الليل فينزل فيقول هل من سائل هل من تائب هل من مستغفر من ذنب فقال له رجل حتي يطلع الفجر قال نعم . هذا حديث بدار . وفي حديث هل من تائب هل من مستغفر فقال رجل لأبي اسحاق حتي يطلع الفجر قال نعم

اشهد علي ابي هريرة رضي الله عنه وابي سعيد الخدري أنهما شهدا علي رسول الله وانا اشهد عليهما بذلك أن رسول الله قال : أن رسول الله قال : ان الله يمهل حتي اذا ذهب ثلث نزل الي سماء الدنيا فيقول : هل من مستغفر هل من داع هل من سائل حتي يطلع الفجر.(٥٥)

*وعن ابي هريرة رضي الله قال . قال رسول الله أن الله يمهل حتي يذهب شطر الليل الـول ثم ينزل الي سماء الدنيا فيقول هل من مستغفر فاغفرله هل من سائل فاعطيه هل من تائب فاتوب عليه حتي ينشق الفجر .(٥٦)

* عن ابي هريرة أن رسول الله قال ينزل الله تبارك وتعالى كل ليلة الي سماء الدنيا حين يبقي ثلث الآخر فيقول من يدعوني فا ستجيب له ومن يسألني فاعطيه ومن يستغفري فاغفرله قال رسول الله ينزل تبارك وتعالى . ثم ذكر الحديث مثله غير أنه لم يقل حين يبقي ثلث الليل الآخر .

وقال لنا احمدينزل تبارك وتعالى حين يبقي ثلث الليل الآخر الي سماء الدنيا فيقول من يسألني فا عطيه من يدعوني فاستجيب له من يستغفري فا غفر له . (٥٧)

*عن ابي هريرة قال رسول الله اذا مضى شطر الليل او ثلثاه ينزل تبارك وتعالى الي سماء الدنيا فيقول هل من سائل يعطي هل من داع يستجاب له هل من مستغفر يغفر له حتي ينفجر الصبح .(٥٨)

*عن نافع بن جبير عن رجل من أصحاب النبي اذا ذهب نصف الليل بنزل الله تبارك وتعالى الي سماء الدنيا فيفتح بابها فيقول من ذا الذي يسألني فاعطيه من ذا الذي يدعوني فا ستجيب له حتي يطلع الفجر .(٥٩)

*وقال يوسف قال رسول الله ان الله يفتح ابواب السماء في ثلث الليل الباقي ثم يهبط الي سماء الدنيا فيسقط يديه الآ عبد يسألني فاعطيه فما يزال كذلك تسطح الشمس وقال محمد بن يحيى في حديثه فيسقط يده فيقول ألعبد.(٦٠)

*عن ابي الدرداء عن رسول الله قال : أالله عزوجل ينزل في ثلاث ساعات ييقن من الليل يفتح الذكر في الساعة الاولى لم يره احد غيره فيمحو ما شاء ويثبت ما شاء ثم ينزل في الساعة الثانية الي جنة عدن التي لم ترها عين ولم تخطر علي قلب بشر ولا يسكنها من بني آدم غير ثلاثة النبيين والصديقين والشهداء ثم يقول طوي لمن دخلك ثم ينزل في الساعة الثالثة الي سماء الدنيا بروحه وملائكته فتنفض . فيقول قومي بعزني ثم يطلع الي عبادته فيقول هل من مستغفر اغفر له ؟ هل من داع اجيبه ؟ حتي تكون صلاة الفجر ولذلك يقول ((وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا))(٦١) فيشهد الله وملائكته الليل والنهار.(٦٢)

قال ابو عبد الله الرباطي حضرت يوما مجلس الأمير عبد الله بن طاهر ذات يوم وحضر اسحاق بن راهويه فسئل عن حديث النزول اصحيح هو ؟ فقال له قواد عبد الله : يا ابا يعقوب. اتزعم أن الله ينزل كل ليلة قال نعم قال : كيف ينزل ؟

قال اثبتته فوق فقال له اسحاق قال الله ((وجاء ربك والملك صفا صفا)) فقال الأمير عبد الله بن طاهر يا ابا يعقوب هذا يوم القيامة فقال اسحاق اعز الله الأمير ومن يجيئ يوم القيامة من يمنعه اليوم ؟ فادعي المعارض أن الله لا ينزل بنفسه إنما ينزل امره ورحمته وهو علي العرش وبكل مكان من غير زوال لأنه احيي القيوم والقيوم بزعمه من لا يزول فيقال لهذا المعارض : وهذا ايضا منحجج النساء والصبيان ومن ليس عنده بيان ولا لمذهبه برهان لأن أمر الله ورحمته ينزل في كل ساعة ووقت واوان .

فما بال النبي صلي الله عليه وسلم يحد لنزوله الليل دون النهار ويوقت من الليل شطره او الأسحار ؟ فامرهم ورحمته يدعون العباد الي الإستغفار او يقدر الأمر والرحمة أن يتكلما دونه ؟ فنقول هل من داع فاجيب ؟ هل من مستغفر فاغفر له ؟ هل من سائل فاعطيه ؟ فان قررت مذهبك لزمك أن تدعي أن الرحمة والأمر هما اللذان يدعون الى الإجابة والإستغفار بكلامهما دون الله وهذا محال عند الفقهاء فكيف عند الفقهاء قد علمتم ذلك ولكن تكابرون .

وما بال رحمته وامره ينزلان من عنده شطر الليل ثم لا يمكنان إلا الى طلوع الفجر ثم يرفعان لن رفاعه يرويه يقول في حديثه حتي ينفجر الفجر . قد علمتم أن هذا التأويل باطل باطل لا يقبله العاقل جاهل .

قال الشيخ ابن القيم رحمه الله في شرح حديث النزول : واما النزول الذي لا يكون من جنس نزول اجسام العباد فهذا لا يمنع أن يكون في وقت واحد لخلق كثيرين ويكون قدره لبعض الناس أكثر او اقل بل لا يمتنع ان يقرب الي خلق من عباده دون بعض فيقرب الي هذا الذي دعاه دون الذي لم يدعه . وجميع ما وصف الرب به نفسه من القرب فليس فيه ما هو عام لجميع المخلوقات كما في المعية . فان المعية وصف نفسه فيما بعموم وخصوص واما قربه ما يقرب منه فهو خاص لمن يقرب كالداعي والعابد وكقربه عشية عرفه ودنوه الي سماء الدنيا لأجل الحجاج وإن كانت تلك العشية قد تكون وسط النهار في بعض البلاد وتكون ليلا في بعض البلاد فان تلك البلاد لم يدن اليها ولا الي مسلتها الدنيا وإنما دنا الي السماء التي علي الحجاج وكذا نزوله بالليل وهذا كما أن حسابه لعباده كحسابهم كلهم في ساعة واحدة وكل منهم يخلو به كما يخلو العباد بللممر ليلة البدر فيقرره بذنوبه وذلك المحاسبا لا يلزى أنه يحاسب غيره . (٦٣)

وقول القائل :

ان اريد به النول الحقيقي فالله خال عن العرش فالعرش عليه قاهر فيلزم منه المان المتحيز المحيط لله . وهذا كله متناقض مصادم لقول الله : ((الرحمن علي العرش استوى)) وقوله ((وهو القاهر فوق عباده)) وقوله ((وأن الله قد احاط بكل شيء علما)) فوجب المصير الي تأويل النزول بالمر والرحمة باطل لا طائل تحته . وإنما يتوجه هذا السؤال علي المشبهين للصفات الله فانهم شبهوا صفات الله بصفات البشر . ووصفوا نزوله بنزول البشر والنزول الحقيقي المنصبت لنزول

البشر تلزم منه هذه التساؤلات . ونحن برئى من هذا المعتقد الفاسد الذى يتطلب تحيز المكان وعلو العرش وقهره عليه . وإنما شأننا - هو شأن السلف الصالح - تفويض كيفية النزول الى من هو اعلم منه به ممن سواه مع اثبات ال نزول الحقيقى المفهوم منه . وعندما اردنا إحالة التكيف ال الله فلا حاجة الى طرح هذه التساؤلات الباطلة التي لا خطام ولا زمام . فالله عال علوا يليق به ونازل نزولا يليقه . والنزول والعلو فلا تعارض بينهما فى حقا الله كما هو متعارض فى عقول البشر لأنه ادرى بما هو منوط به والكيف مجهول والتعرض والممارات فيه بدعة .

فاذا اعتبرناه تعارضا اثبتنا التعارض فى قول الله وقول الرسول صلى الله عليه وسلم فكذلك لا يسوغ التأويل بزول الرحمة يتأمل فى الأحاديث الواردة فيه وذلك أن الله يضبط الى سماء الدنيا ويبسط يديه الى عبده فيقول : هل من سائل يدعوني فاستجيب وهل من مستغفر فاغفر له ز وهل الرحمة تبسط يديه ؟ - كيف ساغ هذا التأويل -

وهل الرحمة تغفر العباد ؟ فاذا فالرحمة معبودة بالعباد ؟ وهنا امرهم جدا . وذلك أن الأشاعرة ذهلت بدعائهم هذا التأويل عن كون الله عاليا علي كل شئى لأنهم لما تأولوا بنزو لالرحمة اعترفوا من جانب آخ رعلو الله عل يعرشه . وعقولهم تناقض ن حيز آخر ((وهذا التأويل يؤدى -قطعا - ال تعطيل ما ورد من انه يبسط يديه)) علما بان اعمال اللفظ اولي من إهماله -فتبين واضحا - علي حسب دعواهم تناقض آخر وهو انهم لما ادعوا أن الرحمة هي التي تنزل جعلوا حيزة تضبط الله - تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا - لأن الرحمة لا تنزل من تحت العالم ولا خارجه ولا داخله بللا هو - معلوم أيضا فى نفس كلامهم - من وق سبع سماوات فكلما داموا علي التأويل بنزول الرحمة لا يتستى اليهم الخروج عن موافقتهم مذهب السلف الصالح فى علو الله عل يعرشه . ومن المحال أن يكون هذا التناقض فى المهب السلف الصالح الذى هو اعلم واسلم واحكم .

وانفس القول فى هذه المسألة ما قاله ابن عبد البر الأندلسي اما قوله صلى الله عليه وسلم فى هذه الحديث ((ينزل تبارك وتعالى الى سماء الدنيا)) فقد أكثر الراس التنازع فيه . والذى عليه جمهور ائمة اهل السنة أنهم يقولون ينزل كما قال رسول الله ويصدقون بهذا الحديث ولا يكتفون والقول فى كيفية النزول كالقول فى كيفية الإستواء والمحيء والحجة فى ذلك واحدة .

وقد قال قوم من اهل الأثر أيضا أنه ينزل امره وتنزل رحمته ورؤى ذلك عن حبيب كاتب مالك وغيره وانكره منهم آخرون وقالوا هذا ليس بشئى لأن امره ورحمته لا يزالان ابدا فى الليل والنهار وتعالى الملك الجبار الذى اذا اراد امرا قال له كن فيكون فى ابوقت شاء ويختص برحمته من يشاء لا اله إلا هو الكبير المتعالي .

وقد روى مطرف عن مالك بن انس أنه سئل عن الحديث ((أن الله ينزل في الليلة الي سماء الدنيا)) فقال مالك يتنزل امره وهذا من الأئمة لأن محقق التمهيد اسامة بن ابراهيم قال : كيف يقبل هذا عن مالك وهو المنكر على اهل البدع . هذه التأويلات الباطلة قال الدارقطني عن حديث يرويه عن مالك هذا حديث باطل وجامع ضعيف.(٦٤)

المسألة الرابعة : إثبات الصفة : الجهة والحد والمكان

اعتبر الأشاعرة من الصفات السلبية : المخالفة للحوادث ولما ارادوا تبيان الممنوع والمستحيل في حق الله ذكر أن ضد المخالفة للحوادث المماثلة للحوادث وجعلوا المماثلة في عشر صور وهى : الجسم والجوهر والعرض والمكان والجهة والتحيز والتقييس بالزمان زحللول الحوادث به والصغر والكبر والأعراض فقالوا : بوجود نفى هذه الصفات عن الله قطعاً لوجود المماثلة للحوادث وجميع ما صوروه من صور المماثلة ألفاظ لا يوجد عليها العثر قدر قنملة في الكتاب والسنة . وفي ثنايا الألفاظ إيهام وإبهام وإجمال يتعصى ادراكه على كثير من الناس كما قال الإمام هـمـد رـحمـه الله : يتكلمون بالمتشابه من اكلام ويخدعون جهال الناس بما يشبهون عليهم فنعوذ بالله من فتن الضالين .

الرد على الزندقة والجهمية ص /٢ نقلاً من منهج اهل السنة والجماعة)) وانما اراد الأشاعرة في غضون الإنكار للجهة أن يتوصلوا به الى نفى صفة العلو على العرش . ولفظ الجهة اصله من الوجهة كما في عدة ووعدة ووزن وزنة .

وقال خالد بن عبد اللطيف : والجهة قد تكون امراً وجودياً اما جسماً او عرض في جسم وهى الأمكنة الوجودية : مثل داخل العالم فان الشمس وسائر النجوم والكواكب ونحوها كلها في جهات وجودية وهو ما فوقها وما تحتها . ومثل هذا الذى يطلقه الرازى ولا يقر بغيره إلا أنه يقال له : وقد تكون الجهة غدمية مثل ما وراء العالم فان العالم ليس في جهة وجودية اذ لو كانت هناك جهة وجودية للئنت من جملة العالم أيضا .

والكلام انما هو في جهة جميع المخلوقات فان لم نقل بالجهة العدمية افضى ذلك الى التسلسل الممتنع وعلى هذا فجهة العالم جهة عدمية وعلى التفصيل السابق يقال لمن يقول : يلزم من القول بعلم الله واستوائه على عرشه أن يكون في جهة : اما أن تكون الجهة امراً وجودياً او امراً عدمياً فان كانت امراً وجودياً لا يوجد إلا الخالق والمخلوقات وليس شئ موجود مبيناً لخلق إلا المخلوقات . فان كان مبيناً لها فكيف تكون محتوية عليه ؟ فان قالوا : يلزم من هذا لثبات الحد لله تعالى ز قلنا ما لمانع من إثباته على هذا الوجه(٦٥)

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : مخالفوا الرسل يصفونه بالمر السلبية ليس كذا ليس كذا : فاذا قيل لهم فاثبتوه قالوا : هو وجود مطلق او ذات بلا صفات وقد علم ((بصريح المعقول)) ان المطلق بشرط الإطلاق لا يوجد إلا في الأذهان لا في الأعيان وان المطلق لا بشرط لا يوجد إلا معيناً ولا يكون للرب عندهم حقيقة مغايرة للمخلوقات . بل اما ان يعطوه او

يعطوه او يجعلوه وجود المخلوقات او جزأها او وصفها والألفاظ المجملة يكفون عن معناها فاذا قال قوم : ان الله في جهة او حيز وقال قوم : ان الله ليس في جهة ولا حيز استفهموا كل واحد من القائلين عن مراده . فان لفظ الجهة والحيز فيه اجمال واشترك فيقولون : ما تم موجود إلا الخالق والمخلوق والله تعالى منزه بائن عن مخلوقاته فانه سبحانه خلق المخلوقات بائنة عنه خارج عن ذاته ليس في مخلوقاته شيء من ذاته ولا في ذاته شيء من مخلوقاته ولو لم يكن مباينا لكان اما مداخلها او محلا لها والله تعالى منزه عن ذلك وام أن لا يكون مباينا لها ولا مداخلها فيكون معدوما والله تعالى منزه عن ذلك واذا قال : لو رؤى لكان في جهة وذلك محال قيل له ان اردت بذلك لكان في جهة موجودة فذلك محال فان الموجود يمكن رؤيته وان لم يكن في موجود غيره كالعالم فانه يمكن رؤية سطحه وليس هو في عالم آخر فان قال اردت أنه لابد أن يكون فيما يسمى جهة معدوما فانه اذا كان مباينا للعالم سمي ما وراء العالم جهة قيل له : فلم قات : أنه اذا كان في جهة بهذا الاعتبار كان ممتنعا ؟ فاذا قال : لأتمباينا العالم ورؤى لا يكون إلا جسما او متحيزا عاد القول الى لفظ الجسم والتحيز كما عاد الى لفظ الجهة فيقال له : المتحيز يراد به ما حازه غيره ويراد به ما بان عن غيره فكان متحيزا عنه فان اردت بالمتحيز الأول لم يكن سبحانه متحيزا لأنه بائن عن المخلوقات منفصل عنها ليس هو حالا فيها و لا متحدا بها فبهذا التفصيل يزول الإشتباه والتضليل .

فقد سئل عبد الله بن مبارك بم نعرف ربنا ؟ قال : بانه على العرش بائن من خلقه قيل بحد ؟ . وقال ابو سعيد عثمان بن سعيد الدارمي : والله تعالى له حد لا يعلمه احد غيره ولا يجوز لأحد ان يتوهم لحده غاية في نفسه . وهذه اللفظة وان لم ترد في الكتاب ولا في السنة إلا ان النافين لها ارادوا أن ينفوا علو الله على خلقه فلم ينفيها الأئمة الأعلام لهذا السبب وذكروا لها معنى صحيحا .

ومما تقدم ظهر أن هناك جهة وجودية وجهة عدمية وبالنظر في الاعتبار الأخير لا يجوز القول بنفى الجهة عن الله اذ المقصود هنا واضح جلي ولكننا نعبر عنها بما ورد في الشرح من العلو والإستواء .

واما الذى يدعى أنه يلزم من إثبات الجهة التحيز يصططح في حق الله امرا محلا والتحيز في مفهوم اللغة ما حازه شيء ولا يعرف في مفهوم اللغة تحيز عدمى كما يعرف في الجهة جهة وجودية وعدمية . والله تعالى لا يحوزه شيء وهو منزه عن ذلك . وقال القرطبي رحمه الله : والأكثر من المتقدمين والمتأخرين أنه اذا وجب تنزيه الباري سبحانه عن الجهة والتحيز فمن ضرورة ذلك ولواحقه اللازمة عليه عند عامة العلماء المتقدمين وقادتهم من المتأخرين تنزيهه تبارك وتعالى عن الجهة فليسبجهة فوق عندهم لأنه يلزم من ذلك عندهم متى اختص بجهة أن يكون في مكان او حيز ويلزم على المكان والحيز الحركة والسكون للمتحيز والتغير والحدوث . هذا قول المتكلمين . وقد كان السلف الأول رضى الله عنهم لا يقولون بنفى الجهة ولا ينطقون بذلك بل نطقوهم والكافة باثبات الله تعالى كما نطق كتابه واخبرت رسله ولم ينكر احد كمنالسلف الصالح أن ه استوى على عرشه حقيقة وخص العرش بذلك لأنه اعظم مخلوقاته وانما جهلوا كيفية الإستواء فانه لا تعلم حقيقة .

وقال ابن القيم الجوزية رحمه الله : تحت عنوان ذكر اقوال الفلاسفة المتقدمين والحكماء الأولين فانهم كانوا نثبتين لمسألة العلو والفوقية . وقد نقل ذلك اعلم الناس بكلامهم واشدهم اعتناء بمقالاتهم ابن رشد الحفيد قال في كتابه ((مناهج الأدلة)) القول في الجهة واما هذه الصفة فلم فلم يز لاهل الشريعة اول المر بثبوتها لله سبحانه حتى نفتها المعتزلة ثم تبعهم على نفيها متأخروا الاشعرية كابي المعالي ومن اقتدى بوقله فظواهر الشرع كلها تقتضى لثباتها لله تعالى قال : وجميع الحكماء قد اتفقوا على أن الله والملائكة في السماء كما اتفقت جميع الشرائع على ذلك . والشبهة التي قادت نفاة الجهة الى نفيها هو أنهم اعتقدوا أن اثبات الجهة توجب لثبات المكان . ولثبات المكان يوجب لثبات الجسمية قال : ونحن نقول أن هذا كله غير لأزم فان الجهة غير المكان وذلك أن الجهة هي اما سطوح نفى الجسم المحيطة به وهي سنة وبهذا نقول : ان للحيوان فوقا واسفلا ومينا وشمالا واماما وخلفا واما سطوح جسم آخر محيط بالجسم من الجهات الست فاما الجهات التي هي سطوح الجسم نفسه فليست بمكان للجسم نفسه اصلا . واما سطوح الجسم المحيط به فهي له مكان مثل سطوح الهواء المحيط بالنسان وسطوح الفلك المحيطة بسطوح الهواء هي أيضا مكان الهواء .

واما سطوح الفلك الخارج فقد تبرهن أنه ليس خارجه جسم لأنه لو كان ذلك كذلك لوجب أن يكون خارج فلك الجسم أيضا جسم آخر ويمر الأمر الى غير نهاية فاذن سطح آخر اجسام العلم ليس مكان اصلا اذ ليس يمكن ان يوجد فيه جسم. (٦٦)

قال الشيخ العثيمين — اما قولكم : انه يلزم من تفسير الإستواء بالعلو أن يكون الله جسما .

فجوابه : كل شئ يلزم من كتاب الله وسنة رسوله صلي الله عليه وسلم فهو حق ويجب علينا أن نلتزم به ولكن الشأن كل الشأن أ، يكون أ، يكون هذا من لازم كلام الله ورسوله لأنه قد يمنع أن يكون لازما فان ثبت أنه لازم فليكن ولا حرج علينا اذا قلنا ثم نقول : ماذا تعنون بالجسم الممتنع ؟

ان اردتم به أنه ليس لله ذات تتصف بالصفات اللازمة لها اللائقة بها فقولكم باطل لأن لله ذاتا حقيقة متصفة بالصفات وأ، له وجهها ويدا وعينا وقدم . وقولوا ما شئتم من اللوازم التي هي لازم حق . ونا اردتم بالجسم الذي قلتم يمتنع أن يكون الله جسما : الجسم المركب من العظام واللحم والدم وما اشبه ذلك فهذا ممتنع على الله وليس بلازم من القول بان استواء الله على العرش علوه عليه .

واما قولهم : انه يلزم أ، يكون محدودا .

فجوابه : أن نقول بالتفصيل : ماذا تعنون بالحد ؟

ان اردتم أن يكون محدودا اى يكون مباينا للخلق منفصلا عنهم كما تكون ارض لزيد وارض لعمر فهذا محدودة منفصلة عن هذه . وهذه منفصلة عن هذه . فهذا حق ليس فيه شئ من النقص .

وان اردتم بكونه محدودا : أن العرش محيط به فهذا باطل وليس بلازم فان الله تعالى مستوى على العرش محيطا به بل لا يمكن أن يكون محيطا به لأن الله سبحانه وتعالى اعظم من كل شئ واكبر من كل شئ والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه .(٦٧)

المسألة الخامسة : اثبات رؤية الله يوم القيامة

والآيات الواردة في ذلك :

قال الله تعالى : وجوه يومئذ ناضرة* الى ربها ناضرة (٦٨)

رؤية المؤمنين لربهم ثابتة بالكتاب والسنة . وتلقته الأمة بالقبول وانكرتها بعض الطوائف برد احاديثها او تأويلها وتأويل الآيات الواردة .

والآيات القرآنية :

قال الله تعالى : ((للذين احسنوا الحسنى وزيادة ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة .)) (٦٩)

قال الله ((فوقهم الله شر ذلك اليوم ولقهم نضرة وسرورا)) (٧٠)

قال الله : ((وجوه يومئذ عليها غبرة* ترهقها قتر)) (٧١)

قال الله : ((وجوه يومئذ خاشعة* عاملة الناصبة)) (٧٢)

قال الله : ((وتراهم يعرضون عليها خاشعين من الذل)) (٧٣)

قال الله : ((ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار * مهطعين مقنعي رؤوسهم)) (٧٤)

قال الله : ((يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والأمر يومئذ لله .)) (٧٥)

٧٦. قال الله: ((يقول الإنسان يومئذ أين المفر* كلا لا وزر* الى ربك يومئذ المستقر)) (٧٦)

قال الله: ((يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فاما الذين اسودت وجوههم اكفرتم بعد ايمانكم فذوقوا العذاب بما كفرتم تكفرون
* واما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون)) (٧٧)

قال الله: ((وجوه يومئذ مسفرة * ضاحكة مستبشرة * ووجوه يومئذ عليها غبرة * ترهقها فترة * أولئك هم الكفرة الفجرة))

(٧٨)

قال الله : ((وجوه يومئذ ناضرة * الى ربها ناضرة)) (٧٩)

قال الله: ((لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار)) (٨٠)

قال الله: ((كلا إنيهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون)) (٨١)

قال الله: ((تعرف وجوههم نضرة النعيم)) (٨٢)

قال الله: ((على الأرائك ينظرون)) (٨٣)

والأحاديث الواردة في هذه المسألة

* عن ابي سعيد الخدري أن ناسا في زمن رسول الله قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ قال رسول الله نعم قال هل تضلّون في رؤية الشمس بالظهيرة صحوا ليس معها سحاب ؟ قال هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر صحوا ليس فيها سحاب قالوا : لا يا رسول الله قال : ما تضارون في رؤية الله تبارك وتعالى يوم القيامة إلّا كما تضارون في رؤية أحدهما إذا كان يوم القيامة اذن مؤذن ليتبببع كل امة ما كانت تعبد فلا يبقى احد كان يعبد غير الله سبحانه من الأصنام والأنصاب إلّا يتساقطون في النار حتى اذا لم يبق إلّا من كان يعبد الله من بر وفاجر وغير اهل الكتاب . (٨٤)

* عن عطاء بن يزيد الليثي : أن ابا هريرة اخبره أن نلسا قالوا : لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ فقال رسول الله هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر قالوا : لا يا رسول الله قال هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب قالوا ك لا يارسولاله قال : فانكم ترونه كذلك يجمع الله الناس يوم القيامة فيقول من كان يعبد شيئا فليتبعه فيتبعه من كان يعبد الشمس الشمس ويتبع من يعبد القمر القمر ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها فيأتهم الله تبارك وتعالى في صورة غير صورته التي يعرفون فيقول انا ربكم فيقولون نعوذ بالله منك هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فاذا جاء ربنا عرفناه فيأتهم اللع في صورته التي يعرفون فيقول انا ربكم فيقولون انت ربنا فليتبعنّه.)) (٨٥)

*عن أبي بكر بن عبد الله قيس عن أبيه عن النب صلى الله عليه وسلم قال جنتان من فضة آيتهما وما فيهما وجنتان من من ذهب آيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن. (٨٦)

* عن صهيب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : يقول الله تبارك ونعالى تريدون شيئا ازيدكم فيقولون الم تبيض وجوهنا الم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار ؟ قال فيكشف الحجاب فما اعطوا شيئا اب اليهم من النظر الى ربهم عز وجل . (٨٧)

* عن جرير بن عبد الله قال كنا جلوسا عند النبي صلى الله عليه وسلم اذا نظر الى القمر ليلة البدر فقال : اما انكم سترون ربكم عز وجل كما ترون هذا لا تضامون في رؤيته فان استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا ثم قرأ: ((فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها)) (٨٨)

* عن ابي هريرة رضى الله قال قلنا يا رسول الله هل نرى ربنا ؟ قال : بلى اليس ترون القمر ليلة البدر قال : فو الله لترونه كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامون في رؤيته. (٨٩)

* عن ابي هريرة رضى الله قال : قالوا : يا رسول الله هل نرى ربنا قال الستم ترون القمر ليلة البدر لا تضامون فى رؤيته قالوا : بلى قال والله لتبصرنه كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامون فى رؤيته : يعنى تزدهمون .

* عن ابي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله : يجمع الله الناس يوم القيامة فى صعيد واحد ثم يطلع عليهم رب العالمين فيقول الا يتبع كل اناس ما كانوا يعبدون فى مثل لصاحب الصليب صليبه ولصاحب التصوير تصويره ولصاحب النار ناره فيتبعون ما كانوا يتبعون ويبقى المسلمون فيطلع عليهم رب العالمين فيقول الا تتبعون الناس فيقولون نعوذ بالله منك الله ربنا وهذا مكاننا حتى نرى ربنا وهو يأمرهم ويثبتهم قالوا : وهل نراه يا رسول الله قال : وهل تتمازون فى رؤية القمر ليلة البدر قالوا : لا يا رسول الله قال : فانكم لا تتمازون فرؤية تلك الساعة ثم يتوارى ثم يطلع عليهم عليهم فيعرفهم نفسه ثم يقول انا ربكم فاتبعوني فيقوم المسلمون ويوضع الصراط فهم عليه مثل جياذ الخيل والركاب وقولهم عليه سلم)) وذكر

باقى الحديث

قال الإمام الشبخ الأستاذ الدكتور وهبة الزحيلي في تفسير قوله تعالى ((الذين احسنوا الحسنى وزيادة)) والزيادة التي هي اعظم من جميع ما اعطوه هي النظر الى وجه الله الكريم بدليل ما روى احمد ومسلم وجماعة من الأئمة عن صهيب رضى الله عنه أن رسول الله تلا هذه الآية ((الذين احسنوا الحسنى وزيادة وقال اذا دخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار نادى منادى يا اهل الجنة إن لكم عند الله موعدا . يريد أن ينجزكموه فيقولون وما هو الم يثقل موازيننا ؟ الم يبيض وجوهنا ويدخل الجنة

ويجربنا من النار قال : فيكشف لهم الحجاب فينظرون ايه فو الله ما اعطاهم الله شيئا احب اليهم من النظر اليه ولا اقر لاعينهم .

قال الشيخ العلامة السيد الإمام محمد رشيد رضا في تفسير هذه الآية : وقد ورد في الأحاديث الكثيرة من الطرق الجديدة أن هذه الزيادة هي النظر الى وجه الله الكريم وهو اعلى مراتب الكمال الروحاني الذي لا يصل اليه المتقون المحسنون العارفون إلا في الآخرة وقد ظهر في هذا العصر من علوم المادة ما لم يكن يقبله عقل من العقول المقيدة بتلك النظريات المتولدة من الفلسفة اليونانية والكلام الجهمي فكيف يكون عالم الغيب الإلهي مقيدا بها .

وقال الشيخ العلامة محمود الألوسي ((الحسنى)) : اى منزلة الحسنى وهي الجنة ((وزيادة)): وهي النظر الى وجه ربه الكريم جل جلاله وهو التفسير لمأثور عن لي بكر وعلى كرم الله وجهه وابن عباس وحذيفة وابن مسعود وابي موسى الأشعري وخلق آخرين وروى مرفوعا الى رسول الله من طرق شتى وقد اخرج الطيالسي واحمد ومسلم والترمذي وابن ماجه وابن جرير وابن ابى حاتم وابن خزيمة وابن حبان وابو الشيخ والدارقطني في الرؤية وابن مردويه والبيهقي في الأسماء والصفات عن صهيب

وحكاية هذا التفسير كما فعل البيضاوي عفا الله عنه مما لا ينبغي وقو لالزحشرى عامله الله تعالى بعدله أن الحديث مفترى لا يصدر إلا عن رقيع فانه متفق على صحته وقد اخرج حافظ ليس فيهم ما يقال .

قال الشيخ العلامة بن جرير الطبري في تفسير هذه الآية : أن الله تبارك وتعالى وعد المحسنين من عباده على احسنهم الحسنى أن يجزيهم على طاعتهم اياه الجنة وان تبيض وجوههم ووعدهم مع الحسنى الزيادة عليها ومن الزيادة على ادخالهم الجنة أن يكرمهم بالنظر اليه وان يعطيهم غرضا من لآلى وان يزيدهم غفرانا ورضوانا كل ذلك من زيادات عطاء الله اياهم على الحسنى التي جعلها الله لأهل حناته وعم جل ثنائه بقوله : ((وزيادة)) الزيادات على الحسنى فلم يخص منها شيئا دون شيء وغير مستنكر من فضل الله أن جمع ذلك لهم بل ذلك كله مجموع لهم ان شاء الله فاولى الأقوال في ذلك بالصواب أ، يعم كما عمه عز ذكره .

قال ابن كثير رحمه الله : وافضل من ذلك واعلاه النظر الى وجهه الكريم فانه زيادة اعظم من جميع ما اعطوه .

قال محمد الشركاني رحمه الله : الزيادة النظر الى وجه الرحمن وقد روى عن التابعين ومن بعدهم روايات في تفسير الزيادة غالبها انها النظر الى وجه الله سبحانه وقد ثبت التفسير بذلك من قول رسول الله فلم يبق حينئذ لقائل مقال ولا التفات الى المجادلات الواقعة بين المتهمة الذين لا يعرفون من السنة المطهرة ما ينتفعون به فانهم لو عرفوا ذلك لكفوا عن كثير من هذيانهم والله المستعان .

قال الشيخ محمد لطاهر ابن عاشور في التحرير والتنوير : الزيادة يتعين أنها زيادة لهم ليست داخلة في نوع الحسنى بالمعنى الذى صار علما بالغلبة فلا ينبغى أن تفسر بنوع مما في الجنة لأنها تكون حينئذ مما يستغرقه لفظ الحسنى فتعين أنها امر يرجع اى رفعة الأقداء فقليل : هي رضى الله تعالى كم قال : ((ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله أكبر)) وقيل رؤيتهم الله وقد ورد ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم عن صهيب وهو اصرح ما ورد في تفسيرها .

وقا الشيخ فخر الدين الرازى : من الوجوه المستنبطة من هذه الآلية الدالة على انها تعالى جائز الرؤية وذلك لأنه تعالى لو كان مستحيل الرؤية لقال لا لرى الا ترى أنه لو كان في يد رجل حجر فقال له انسان ناولنى هذا لآكله

فانه يقول له هذا الا يؤكل و لايقول له لا تأكل ولو كان في يد يدل الحجر تفاحة لقال له لا تأكلها اى هذا مما يؤكل ولكنك لا تأكل فكما قال : ((لن ترى)) ولم يقل لا ارى علمنا ان هذا يدل على أنه تعالى فذاته جائز الرؤية.

ومن الوجوه المستنبطة من هذه الآلية انه تعالى علق رؤيته على ام رجائز والمعلق على الجائز فيلزم كون الرؤية في نفسها جائزة انما قلنا أنه تعالى علق رؤيته على امر جائز لأنه تعالى علق رؤيته على استقرار الجبل بدليل قوله ((فان استقر مكانه فسوف ترانى)) واستقرار الجبل امر جائز الوجود في نفسه فثبت نه تعالى علق رؤيته على امر جائز الوجود في نفسه .

اذا ثبت هذا وجب أن يكون رؤيته جائزة الوجود في نفسها لأنه لما كان ذلك الشرط اما أن يترتب عليه الجزاء الذى هو حصول الرؤية اولا يترتب فان ترتب عليه حصول الرؤية لزم القطع بكون الرؤية جائزة الحصول وان لم يترتب عليه حصول الرؤية قدح هذا في صحة قوله أنه متى حصل ذلك الشرط حصلت ارؤية وذلك باطل .

قال الشيخ العلامة محمد بن احمد الأنصارى القرطبي رحمه الله : وأيضا عند اهل السنة والجماعة : الرؤية جائزة . وعند المبتدعة سأل لأجل القوم ليبين لهم انها غير جائزة .

واكثر المفسرين لطبقوا على أن الرؤية الله ثلثة بالنقل والعقل . وادحضوا دعاوى واهية تثيرها المؤولة الضالة والدليل الذى يقطع برؤية المؤمنين لربهم هو قول الله تعالى : للذين احسنوا الحسنى وزيادة)) والزيادة هنا رؤية الله كما فسر الرسول صلى الله عليه وسلم . ولكن انر هذا المعنى الأشاعرة بتوجيهات ثلاثة .

١ أن الدلائل العقلية القاطعة تدل على أن رؤية الله ممتنعة

٢ أن الزيادة لا بد م أن تكون من جنس المزيد عليه وهو الحسنى . ومعناه أن زيادة الشئى ناشئة عن جنسه واصله فصار معناه مزيد الفضل .

٣ - وأ، الذى تمسكتكم به من أ، الزيادة الظر الى وجه الله يوجب التشبيه لأن النظر عبارة عن تقليب الحدقة الى جهة المرئى وهذا يقتضى كون المرئى فى الجهة لأ ن الوجه اسم للعضو المخصوص وذلك أيضا يوجب التشبيه فثبت أن ها اللفظ لا يمكن حمله على الرؤية فوجب حمله على شئى آخر وشهد له قول الجبائى : الحسنى عبارة عن الثواب المستحق ومما يدل على صحة هذا المعنى قوله تعالى : ليفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله ((وكذلك نقل عن على رضى الله عنه أنه قال ك الزيادة غرفة من لؤلؤة واحدة . وعن بن عباس أن الحسنى هى الحسنة والزيادة عشر امثالها . عن يزيد بن سمرة : الزيادة أن تمر السحابة باهل الجنة

وقد اجاب عن هذه الوجوه فخر الدين الرازى اجابة مقنعة . ونص كلامه : اجاب اصحابنا عن هذه الوجوه : فقالوا : اما قولكم إن الدلائل العقلية دلت على امتناع رؤية الله فهذا ممنوع لأننا بينا فى كتاب الأصول أ، تلك الدلائل فى غاية الطعن ونهاية السخافة واذا لم يوجد فى العقل ما يمنع من رؤية الله تعالى وجاءت الأخبار الصحيحة باثبات الرؤية وجب اجراءها على ظواهرها . اما قوله الزيادة يجب أن تكون من جنس المزيد عليه فنقول : المزيد عليه اذا كان مقدرا بمقدار معين وجب أ، تكون الزيادة علي مخالفته له.

مثال الأول : قول الرجل لغيره : اعطيتك عشرة امداد من الخنطة وزيادة فهنا يجب أن تكون تلك الزيادة من الخنطة .

ومثال الثانى ك اعطيتك الخنطة وزيادة فهنا يجب أ تكون تلك الزيادة غير الخنطة والمذكور فى هذه الآية لفظ ((الحسنى)) وهى الجنة وهى مطلقة غير مقيدة بمقدار معين فوجب أن تكون تلك الزيادة عليها شيئا مغارا لكل ما فى الجنة واما قوله : الخبر المذكور فى هذ الباب اشتمل على لفظ النظر وعلى اثبات الوجه لله تعالى وكلامها يوجبان التشبيه فنقول : هذا الخبر افاد اثبات الرؤية وافاد لثبات الجسمية ثم قام الدليل على أنه ليس بجسم ولم يقم الدليل على امتناع رؤيته ، فوجب ترك العمل بما قام الدليل على فساده فقط . وأيضا قد بينا أن لفظ هه الآية يدل على أ، الزيادة هى الرؤية من غير حاجة تنافى تقرير ذلك الخبر والله اعلم.

المسألة السادسة : إثبات صفة المجيئ والإتيان

وصفة المجيئ والإتيان ثابتة بالكتاب والسنة وهناك اربع آيات تثبت المجيئ .

وخالف اهل السنة والجماعة فى هذه الصفة اهل التحريف والتعطيل فقالوا : إن الله لا ياتى لأنك اذا ثبت أن الله ياتى ثبت أنه جسم والأجسام متماثلة فنقول : هذه دعوى وقياس باطل . لأنه فى مقابلة النص وكل شئى يعود الى النص بالابطال فهو باطل . لقوله : ((وإنا او إياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين)) (سبأ: ٢٤) فاذا قلت : ان هذا الذى عاد الى النص

بالابطال هو الحق . صار النص باطلا ولا بد وبطلان النص مستحيل وان قلت : ان النص هو ابلحق صار هذا باطلا ولا بد.

ثم نقول : ما المانع من أن يأتي الله تعالى بنفسه على الكيفية التي يريد لها يقولون : هذا خطأ فاننا نعلم أن المجيئ والإتيان يختلف حتى بالنسبة للمخلوق فالانسان النشيط الذي يأتي كأنما ينحدر من مرتفع من نشاطه لكنه ليس يمشى مرحا وإن شئت فقل : أنه يمشى مرحا : هل هذا كالانسان الذي يمشى على عصا ولا ينقل رجلا من مكانها إلا بعد تعب .

والإتيان يختلف من وجه آخر فإتيان انسان ثلا من كبراء البلد أو من ولاة الأمور ليس كإتيان خشن لا يحتضى ماذا يقول المعطل في قوله : ((وجاء ربك)) ونحوها .

الجواب :

يقول : المعنى : جاء ربك واتى امر ربك لأن الله تعالى قال : ((أتى امر الله فلا تستعجلوه)) (النحل : ١) فيجب أن نفسر كل إتيان اضافه الله الى نفسه بهذه الآية ونقول : المراد : اتى امر الله فيقال : إن هذا الدليل الذى استدلت به هو دليل عليك وليس لك . لو كان الله يريد إتيان امره فى الآيات الأخرى فما الذى يمنعه أن يقول : امره؟ فلما اراد الأمر عبر بالمر ولما لم يرده لم يعبر به وهذا فى الواقع دليل عليك لأن الآيات الأخرى ليس فيها اجمال حتى نقول انها بينت بهذا الآية فالآيات الأخرى واضحة وفى بعضها تفسير يمنع ارادة مجيئ الامر : ((هل ينظرون إلا أن يأتهم الملائكة أو يأتى امر ربك أو يأتى بعض آيات ربك)) (الأنعام : ١٥٨) هل يستقيم لشخص أ، يقول (يأتى ربك) اى امره فى مثل هذا التقسيم فاذا قال قائل : ما تقولون فى قوله تعالى : ((فحسر الله أن يأتى بالفتح او امرا من عنده)) (المائدة : ٥٣)

والجواب : أن المراد بذلك تيان الفتح او الامر لكن اضاف الله الإتيان به الى نفسه لأنه من عنده . وهذا اسلوب معروف فى اللغة العربية فالإتيان اذا قيد بحرف جر مثلا فالمراد به ذلك المجرور واذا اطلق واضيف الى الله بدون قيد فالمراد به إتيان الله حقيقة .

وقال صاحب الكواشف الجلية فى كتابه : قال : واما من قال يأتى امره وينزل رحمته وامره فان اراد —أنه سبحانه— اذا نزل وأتى حلت رحمته وامره فهذا حق وان اراد إن المول والمجيئ والإتيان للرحمة والامر ليس إلا ذلك فهو باطل من جوه عديدة قد تقدمت ونزيدها وجوها آخر منها : أن يقال اتريدون برحمته وامره صفته القائمة بذاته ام مخلوق منفصلا سميتموه رحمة ؟ فان اردتم الاول فنزوله يلتزم نزول الذات ومجيئها قطعاً . وان اردتم الثانى كان الذى ينزل لفصل القضاء مخلوق ممتنا لا رب العالمين . وهذا معلوم البطلان قطعاً وهو تكذيب صريح فانه يصح معه أ، يقال لا ينزل الى سماء الدنيا ويأتى لفصل القضاء وانما يأتى وينزل غيره . ومنها كيف يصح أن يقول ذلك المخلوق لا أسأل عن عبادى غيرى ويقول : من يستغفرنى

فاغفر له؟ ونزول رحمته وامره مستلزم لنزوله سبحانه مع رد خبره صريحا . ومنها أن نزول رحمته وامره لا يختص بالثلث الأخير ولا بهقت دون وقت . ففي كل وقت ينزل امره ورحمته فلا تنقطع رحمته ولا امره على العالم العلوى والسفلى طرفة عين .

وقال الشيخ عثمان بن سعيد الدارمى : وقوله تعالى : ((فأتى الله بنيانهم من القواعد)) لقد ميزت بين ما جمع الله . وجمعت بين ما ميز الله ولا يجمع بين هذين فى التأويل إلا كل جاهل بالكتاب والسنة . لأن تأويل كل واحد منهما مقرون به فى سياق القراءة لا يجمله إلا مثلك وقد اتفقت الكلمة من المسلمين أن الله تعالى فوق عرشه فوق سماواته وأنه لا ينزل قبل يوم القيامة لعقوبة احد من خلقه ولم يشكوا انه ينزل يوم القيامة ليفصل بين عباده ويحاسبهم ويثيبهم .

وتشقق السماوات يومئذ لنزوله ونزل الملائكة تنزل ((ويحمل عرش ربك فوقه يومئذ ثمانية)) كما قال الله ورسوله فلما لم يشك المسلمون أن الله لا ينزل الى الأرض قبل يوم القيامة لشيء امور الدنيا . علموا يقينا ان ما يبى الناس من العقوبات انما هو امره وعذابه . قوله تعالى ((فأتى الله بنيانهم من القواعد)) يعنى : مكره من قبل قواعد بنيانهم ((فخر عليهم السقف من فوقهم)) فتفسير هذا : الإتيان خروا السقف عليهم من فوقهم وقوله : ((فاتاهم الله من حيث لم يحتسبوا)) ((فخذف فى قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين)) وهو بنو النضير . فتفسير الإتيان مقرون بهما : خروا السقف والرعب . وتفسير اتيان الله يوم القيامة منصوص فى الكتاب والسنة مفسرا . قال الله تعالى : فاذا نفخ فى الصور نفخة واحدة * وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة * فيومئذ وقعت الواقعة وانشقت السماء فهى يومئذ واهية * والملك على أرجائها ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية * فيومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية)) الى قوله : ((هلك عنى سلطانية)) وقد فسر الله معنيين تفسيراً ليس فيه ولا يشتهه على ذى عقل . فقال فيما يصيب به من العقوبات فى الدنيا ((اتاهم امرنا ليلا او نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغنى بالامس)) فحين قال : اتام امرنا علم اهل العلم أن امره ينزل من عنده من السماء وهو على عرشه فلما قال : ((فاذا نفخ فى الصور نفخة واحدة)) الآيات التى ذكرنا وقال أيضا ((ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا)) ((ويأتىهم الله فى ضلل من الغمام والملائكة وقضى الأمر والى الله ترجع الأمور)) ((دكت الأرض دكا دكا * وجاء ربك والملك صفا صفا علم قص الله من الدليل وبما حد ولنزوله الملائكة يومئذ أن هذا اتيان الله بنفسه يوم القيامة ليل محاسبة خلقه لا يلى ذلك احد غيره وأن معناه مخالف لمعنى اتيان القواعد لإختلاف القضيتين أ لا ترى ايها المريسى أنه حين قال : فاتى الله بنيانهم من القواعد)) لم يذكر عندها نفخ الصور ولا تشقق السماء ولا تنزل الملائكة ولا حمل العرش ولا اتيان الملك صفا صفا ولا يوم ا لعرض ولكن قال : خر عليهم السقف من فوقهم)) واتاهم العاب من حيث لا يشعرون

فرد الإتيان الى العذاب ففرق بين المعنيين ما قرن بهما من الدلائل والتفسير وانما يصرف كل معنى الى معنى الذى ينصرف اليه ويجتمله فى سياق القول (لا) أن يجد الشيء اليسير فى الفرط يجوز فى المجاز باقل المعنى وابعداها من العقول فيعمد الى كثير معانى الأشياء واغلبها فيصرف المشهورات منها الى المعمورات المستحالات يغالط بها الجهال ويروج عليهم به

الصلال فيكون ذلك دليلا منه على الظنة والريبة ومخالفة العامة والقرآن عربي مبين تصرف معانته الى اشه ر ما تعرفه العرب في لغاتها واعمها عندهم . فان تأول متأول مثلك جاهل في شئ منه خصوصا او صرفه الى معنى يعبد عن العموم بلا اثر فعليه البينة على دعواه وإلا فهو على العموم أبدا .

وزعم الجبائي : أنه للنبي صلى الله عليه وسلم واصحابه اى ينتظرون إلا أن يأتيهم الملائكة لقبض لرواحهم او يأتي ربك يوم القيامة في ضلل من الغمام حسبما اخبر وبالمعنى الذى اراد . والى هذا التفسير ذهب ابن مسعود وقتادة ومقاتل . وقيل : اتيان الملائكة لا تزال العذاب والخسف بهم . وعن الحسن اتيان الرب على معنى اتيان امره بالعذاب . وعن ابن عباس المراد يأتي لمر ربك فيهم بالقتل . وقيل : المراد يأتي كل آياته يعنى آيات القيامة والهلاك الكلى لقوله سبحانه وتعالى : (و يأتي بعض آيات ربك)) وانت تعلم أن المشهور من مذهب السلف عدم تأويل مثل ذلك بتقدير مضاف ونحوه بل تفويض المراد منه الى اللطيف الخبير مع الجزم بعدم ارادة الظاهر ومنهم من يقيه على الظاهر إلا انه يدعى أن الإتيان الذى ينسب الله ليس الإتيان الذى يتصف به الحادث . وحاصل ذلك أنه يقول بالظواهر وينفى اللوازم ويدعى أنها لوازم في الشاهد واين التراب من رب الأرباب .

المسألة السابعة : إثبات صفة اليمين لله

مذهب اهل السنة والجماعة أن لله يدين اثنين ويعتضدون انهما يدان حقيقتان تلتقيان بجلال الله ولا تماثلان ايدى المخلوقين وهما من صفات الله الذاتية الثابتة بالكتاب والسنة واجماع السلف .

قال الله تعالى : يخاطب الشيطان : ((ما منعك أن تسجد لما خاقت بيدي)) (٩٠)

قال الله : ((وقالت اليهود يد الله مغلولة . غلت ايديهم ولعنوا بما قالوا بل يدها مبسوطتان بنفق كيف يشاء)) (٩١)

*عن ابن مسعود رضى الله عنه : جاء جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا محمد او يا ابا القاسم : ان الله تعالى يمسك السماوات يوم القيامة على اصبع والأرضين على اصبع والماء والثرى على اصبع وسائر الخلق على اصبع ثم يهزهن فيقول : انا الملك فضحك رسول الله تعجبا تصديقا له ثم قرأ ((وما قدر الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون)) (٩٣)(٩٢)

*عن ابي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن العبد اذا تصدق من طيب تقبلها الله منه . فيأخذها بيمينه فرباها كما يرى احد كرمهره او فصيله وان الرجل ليتصدق باللقمة فتربوا في يد الله - او قال : في كف الله - حتى تكون مثل الجبل فتصدقوا . (٩٤)

* عن ابي موسى الأشعري قال : قال رسول الله ﷺ وقال عبد الوهاب قال : سمعت رسول الله يقول ﷺ ان الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض فجاء بنو آدم على قدر الأرض فجاء منهم الأحمر والأسود وبين ذلك و السهل والحزن والخبث والطيب . (٩٥)

* عن عبد الله بن عمر قال : رأيت رسول الله على المنبر يقول : والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه ثم يقول : انا الله انا الرحمن انا الجبار ز اين الجبارون اين المتكبرون حتى انى اخشى أن يسقط به المنبر . (٩٦)

* عن سعيد بن المسيب : أن ابا هريرة كان يقول : قال رسول الله يقبض الله الأرض يوم القيامة ويطوى السماء بيمينه ثم يقول انا الملك . فاين ملوك الأرض . (٩٧)

* عن ابي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إن الله عزوجل يسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها . (٩٨)

* عن عبد الله بن عمر قال : إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن عز وجل وكلتا يديه يمين الذين يعدلون في حكمهم وما اهلهم وما ولوا (٩٩)

* عن عبد الله بن مقسم أنه نظر الى عبد الله بن عمر كيف يحكى رسول الله قال : قال رسول الله ياخذ عز وجل سماواته وارضه بيديه فيقول : انا الله ويقبض اصابعه ويسطها انا الملك حت ظرت الى المنبر يتحرك م اسفل شئ منه حتى انى لا اقول : اساقط هو برسول الله صلى الله عليه وسلم . (١٠٠)

وقال عبد الله بن عبد العزيز الجبرين : ولا يصح تحريف معنى اليدين الى القوة او النعمة او نو ذلك ما فعل الاشاعرة لوجوه منها :

١ - أنه صرف للكلام عن حقيقة الى مجازه بلا دليل

٢ - أنه معنى تأباه اللغة في مثل السياق الذى جاءت به مضافة الى الله تعالى فان الله تعالى قال : لما خلقت بيدي ولا يصح أن يكون المعنى لما خلقت بنعمتى او قوتى .

٣ - أنه ورد ضافة اليد الى الله بصيغة التثنية ولم يرد فى الكتاب و لا فى السنة فى موضوع واحد اضافة النعمة او القوة الى الله بصيغة التثنية فكيف يفسر هذا بهذا .

٤ - أنه لو كان المراد بهما اقوة او القدرة لاحتج بذلك ابليس على ربه حين قال له : ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي وقال : وانا أيضا خلقتنى بقوتك وقدرتك .

٥- ان صفة اليد تصرفت تصرفا يمنع أن يكون المراد بها النعمة او القوة فجاء بلفظ اليد والكف وجبء غثبات الاصابع والقبضة واليمين واللهز لله تعالى وهذه التصرفات تمنع أن يكون المراد باليد النعمة او القدوة .

قال الإمام ابو حنيفة في الفقه الأكبر : ص٣٧ ويديه ووجه ونفس كما ذكره الله في القرآنو لا يقال أن يده قدرته ونعمته لأن فيه ابطال الصفة وهو قول اهل القدرة والإعتزال ولكن يده صفة بلا كيف .

وقال عثمان بن سعيد : وكذلك ادعى الجاهل الثلجى ان الله خلق آدم بيده قال : بنعمته التى انعم بها عليه فخصه بما خص من كراماته .

فيقال لهذا الثلجى البقباق النفاخ : لو كانت من يعقل شيئا من وجوه الكلام لعلمت ان هذا تأويل محال من كلام ليس له نظام ويلك واى شئ من خلق الله من كلب او خنزير او قرد او انسان او بهيمة لم ينعم الله عليه فى خلقه اذ خلقه ح تى خص بنعمته آدم ومن عليه بذلك من بين هؤلاء الخلائق ؟ واى منقبة لأدم فيها اذ كل هؤلاء خلقوا بنعمته كما خلق آدم؟.....

قال ابو سعيد : ويلك اها المعارض انما عنى رسول الله بالدين مل قد اطلق على التى فى مقابلة اليمين الشمال ولكن تأويله وكلتا يديه يمين اى منزه عن النقص والضعف.

قال ابن القيم الجوزي : قال الله تعالى عى سبيل الإنكار و التوبيخ والتقريع ياابليس ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي اى اى شئى منعك وصرفك وصدك عن السجود لا توليت خلقه بيدي من غير واسطة ؟ واضاف خلقه الى نفسه تكريما وتشريفا مع أنه سبحانه خالق كل شئى كما اضاف الى نفسه الروح والبيت والناقة والمسجد . وفى تشية اليد اعظم دلالة على أنها ليست بمعنى القدرة او القوة او النعمة بل للدلالة على أنهما صفتان من صفاته جل وعلا خلافا للمبتدعة من جهمية او معتزلة او اشاعرة او من حذا حذوهم . وخلافا للمشبهة الذين يشبهون صفات الله بصفات خلقه تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا .

*أن الأصل فى الكلام الحقيقة فدعوى المجاز مخالف للأصل .

*ان ذلك خلاف الظاهر فقد اتفق الاصل والظاهر على بطلان هذه الدعوى .

*اطراد لفظها فى موارد الإستعمال وتنوع ذلك وتصريف استعماله يمنع المجاز ألا ترى الى قوله : ((خلقت بيدي)) (١٠١) وقوله : ((يداه مبسوطتان)) (١٠٢) وقوله : ((وما قدر الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات طويات بيمينه)) (١٠٤) فلو كان مجازا فالقدرة او لنعمة لم يستعمل منه لفظ يمين وقوله فى الحديث : المقسطون على

منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين فلا يقال هذه يد النعمة او القدرة وقوله : يقبض الله سماواته بيده والأرض باليد الأخرى ثم يهزهن ثم يقول انا الملك فهنا هز وقبض وذكر يدين وهما اخبر صلى الله عليه وسلم جعل يقبض يديه ويبسطهما تحقيقا للصفة لا تشبيها لها .

ان مثل هذا المجاز لا يستعمل بلفظ التثنية ولا يستعمل إلا مفردا او مجموعا كقولك عندى به يجزيه الله بها وله عندى ايدى واما اذا جاء بلفظ التثنية لم يعرف استعماله قط إلا فى اليد الحقيقة . ان ليس فى المعهودات يطلق الله على نفسه معنى القدرة والنعمة بلفظ التشبيه بل بلفظ الأفراد الشامل لجميع الحقيقة كقوله ((ان القوة لله جميعا)) وكقوله ((ان تعدوا نعمة الله لا تحصوها)) وهذا يجمع الله النعم كقوله واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة واما ان يقول خلقتك بقدرتين وبنعمتين فهذا لم يقع فى كلامه ولا كلام رسوله .

أنه لو ثبت لاستعمال ذلك بلفظ التثنية لم يجز ان يون المراد هنا القدرة فانه يبطل تخصيص آدم فانه وجميع المخلوقات - حتى ابليس - مخلوق بقدرة الله . ان هذا التركيب المذكور فى قوله - خلقت بيدي - يأبى حمل الكلام على القدرة لأنه نسب لخلق الى نفسه سبحانه ثم عدى الفعل الى اليد ثم ثناها ثم ادخلها عليها الباء التى تدخل على قولك كتبت بالقلم ومثل هذا نص صريح لا يحتمل المجاز بوجه .

ورد لفظ اليد فى القرآن والسنة وكلام الصحابة والتابعين فى أكثر من مئة موضع ورودا متنوعا منصرفا مقرون بما يدل على أنها يد حقيقة من الإمساك والطي والقبض والبسط والنصافحة والنضح باليد والخلق باليدين والمباشرة بها وكتب التوراة بيده وغرس جنة عدن بيده وتحمير طينة آدم بيده وقوة العبد بين يديه وكون المقسطين عن يمينه وقيام رسول الله يوم القيامة عن يمينه وتخيير آدم ما فى يده فقال اخترت يمين ربى و اخذ الصدقة بيمينه يريها لصاحبها وكتابته على نفسه ان رحمته تغلب غضبه وانه مسح ظهر آدم بيده .

يقول البيهقى رحمه الله : فاما قوله عز وجل ((ياابليس ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي)) فلا يجوز ان يحمل على الجارحة لأن الباري جل جلاله واحد لا يجوز عليه التبعض ولا على القوة والملك والنعمة والصلة لأن الإشتراك يقع حينئذ بين وليه آدم وعدوه ابليس فيبطل ما ذكر من تفضيله عليه لبطلان معنى التخصيص فلم يبق إلا ان يحمل على صفتين تعلقتا بخلق آدم تشريفا له دون خلق ابليس تعلق القدرة بالمقدور لا من طريق المباشرة ولا من حيث المثلثة وكذلك تعلقت بما رويانا فى الأخبار من خط اتوراة وغرس الكرامات لأهل الجنة وغير ذلك تعلق الصفة بمقتضاها فلم يجز على غير الصفة .

المسألة الثامنة : إثبات العين لله

وهذه الصفة احدى الصفات التي اثبتها الله لنفسه في تنزيله في اربع مواضع وبعضها مضافة الى نفسه وبعضها مضافة الى الجمع وهو من اجل التعظيم وهى قوله تعالى : ((واصنع الفلك باعيننا)) (١٠٥) وقوله ((تجري باعيننا)) (١٠٦) واما من السنة :

فورد حديث نافع قال : ان عبد الله بن عمر اخبره أن المسيح بين ظهرائي الناس فقال رسول الله : إن الله ليس باعور إلا أن المسيح لدجال اعور عين اليمنى كان عينه عنبة طافية . (١٠٧)

*عن موسى بن اسماعيل عن جويرية وقال في متنه : فقال : إن الله لا يخفى عليكم ان الله ليس باعور وأشار بيده الى عينه . (١٠٨) .

ومذهب السلف الصالح في صفة العين وفي تظاهراتها معروف مشهور ولكن المعرض الأشعرى يقول بمحض التأويل فيها وفي نظائرها .

*وقال جرير الطبرى : في تفسيره قوله تعالى : وقوله: باعيننا يقول : بعين الله ووحيه كما يأمر كما ثم اورد قول بن عباس رضى الله عنه فقال : حدثنا القاسم قال : ثنا الحسين قل : حدثني حجاج عن بن جريج عن عطاء الخراساني عن ابن عباس : واصنع الفلك باعيننا ووحينا قال : بعين الله قال ابن جرير قال مجاهد : ووحينا قال : كما نأمر كما ثم ساق قول قتادة وقال : حدثنا محمد بن عبد الأعلى : حدثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة في قوله ((باعيننا ووحينا)) قال : بعين الله ووحيه . (١٠٩) .

* وقال جلال الدين السيوطى : اخرج بن ابي حاتم وابو الشيخ والبيهقى في الأسماء والصفات عن ابن عباس رضى الله عنه في قوله تعالى : واصنع الفلك باعيننا قال : بعين الله ووحيه .

واخرج البيهقى عن سفيان بن عيينة رضى الله عنه قال : ما وصف الله تبارك وتعالى نفسه في كتابه فقراءته تفسير هـ ليس لأحد أ، يفسره بالعربية ولا بالفارسية . (١١٠)

*ونقل الأزهري في تهذيب اللغة ٢٠٥/٣ عن ابن الانبارى في قوله تعالى واصنع الفلك باعيننا أنه قال : وقال اصحاب النقل والأخذ بالأثر : الأعين يريد به العين قال : وعين الله لا تفسر بأكثر من ظاهرها ولا يسع احدا أن يقول كيف هى او ما هى صفتها . (١١١)

وكثير من المفسرين ذهبوا الى القول بان العين مجاز من الحفظ هذاما تشبهبه الأشاعرة من تقرير نفى صفة العين لله تعالى ز ومن ذهب اليه اليه من المفسرين القرطبي والآلوسي والشوكاني وامامهم فخر الدين الرازى وكذلك وهبة الزهيلي أيضا وهذا الإستدلال ساقط من وجوه .

*ان هذا التفسير لم يتكلم به مفسروا الصحابة وتابعوهم بل ثبت خلاف ما ادعوه من طريق حسن عن ابن عباس وما شهد لهما صح عن قتادة من تلفاميد ابن عباس رضى الله عنه واما ما اورده الأشاعرة من تأويل الآية بالكلاءة من قول ابن عباس غير موقوف على اصله وغير معثور على اسناده عند المحققين - والله اعلم - وعلى فرض ثبوته عنه لما كان رضى الله عنه عبر هذا التأويل بنفى الصفة قطعاً لشهرة مذهبه في صفات الله وثبوت اثبات العين عنه في نفس الآية .

وعلى كون ترتب هذا التأويل من لفظ العين لا يراد به نفى العين لأن الواضح ان الكلاءة لا تكون إلا من ذوى الأعين واینما توجهت الأشاعرة ليس من وسعهم العدول عن هذا الاصل .

وقال عثمان بن سعيد الدارمی : فان صح قولك عن بن عباس فمعناه الذى ادعينا لا ما ادعيت انت يقول بحفظنا وكلائتنا باعيننا لأنه لا يجوز فى كلام ارب ان يوصف احد بالكلاءة إلا وذلك من ذوى الأعين فان جهلت فسم لنا شيئاً من غير ذوى الأعين يوصف بالكلاءة وانما اصل الكلاءة من اجل النظر .

ومما سبق من كلام عثمان بن سعيد الدارمی : يظهر توجيه كلام المفسرين فى قوله تعالى : تجرى باعيننا: بحفظنا وكلائتنا باعيننا . وهذا التوجيه صحيح بالعقل والنقل . وهذا هو صالح للقول به فى كلام المفسرين الذين منهم من يحذوا حذو السلف الصالح فى الأسماء والصفات . وكذلك يمكن أن نقول أن معظم المفسرين اعتمدوا على اثر ابن عباس المذكور الآنف وصاروا الى القول به بيد أنهم غيرنا فينا لصفة عينه ولكن تحقق ان ما صح عن ابن عباس رضى الله عنه هو عدم التأويل . والإعتماد على الخبر المتحقق اولى من الإعتماد على الخبر الذى لم يوقف عليه ولم يتحقق صحته .

قال بن القيم الجوزى : ولا حجة للمبتدعة على نفى العين فى افرادها فى بعض النصوص وجمعها فى البعض الآخر لأن لغة العرب متنوعة فى افراد المضاف وتثنيته وجمعه بحسب احوال المضاف اليه فان اضافوا الواحد المتصل الى مفردة افردوه وان اضافوا اسم جمع ظاهر او مضمر فالاحسن جمعه مشاكلة للفظ كقوله : تجرى باعيننا وان اضيف اى ضمير جمع جمعت كقوله تعالى : او لم يرو انل خاقن لهم مما عملت ايدينا انعاما فهم لها مالكون ((وان اضيف الى مثنى فالصح فى لغتهم جمعه كقوله : فقد صغت قلوبكما)) وانما هما قلبان وقوله ((والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما)) وكقول العرب :

اضرب اعناقهما وهذا افصح استعمالهم وتارة يفردون المضاف فيقولون لسانهما وقلبهما وتارة يشنون فيقولون : ظهراهما مثل ظهور الترسين واذا كان منلغتهم وضع الجمع موضع التثنية لئلا يجمعوا فى لفظ واحد تثنيتين ولا لبس هناك فلان يوضع الجمع موضع التثنية فيما اذا كان المضاف اليه تثنية ولى بالجواز يدل عليه أنك لا تكاد تجد فى كلامهم عينان ويدان ونحو ذلك و لا ياتبس على السامع قول المتكلم : نراك باعيننا وناخذ بايدينا ولا يفهم منه بشر على وجه الأرض عيوناً كثيرة على وجه واحد .

وقال البيهقى رحمه الله : بعد أن ساق حديث الدجال : وفى هذا نفى نقص العود عن الله سبحانه واثبات العين له صفة .

وهوما ذهب اليه ابن خزيمة حيث قال بعد أن ساق الآيات التي ذكرها البيهقي فواجب على كل مؤمن انيثبت لمخالفه وبارئه ما اثبت الخالق البارئ لنفسه من العين وغير مؤمن من ينفي عن الله تبارك وتعالى ما قد اثبتته في محكم تنزيله .
ومن ذهب الى ما ذهب اليه ابن خزيمة ابو الحسن على بن اسماعيل الأشعري مقالات الإسلاميين .

المسألة التاسعة : إثبات صفة السمع والبصر لله

صفة السمع والبصر لله ثابتة بالكتاب والسنة الصحيحة .

قال الله تعالى : ((قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكى الى الله والله يسمع تحاوركما ان الله سميع بصير))
(١١٢) وقوله لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء (((١١٣) وقوله ((ام يحسبون انا لا نسمع سرهم ونجواهم بلى ورسلنا لديهم يكتبون)) (١١٤)

في هذه الآيات وصف الله بالسمع والبصر . وانه تعالى يسمع ويبصر ببصر حقيقة منزّه عن صفات المخلوقين ومما تلتهم هذا مذهب سلف الأمة وائمتها وعلى نحو ذلك دل الكتاب والسنة .

الأحاديث الواردة في إثبات السمع والبصر:

* وقد مر بها عمر بن الخطاب رضى الله عنه فخلافته والناس معه على حمار فاستوقفته طويلا ووعظته وقالت يا عمر قدكنت تدعى عميرا ثم قيل لك عمر ثم قيل لك امير المؤمنين فاتق الله يلعمر فانه من ايقن بالموت خاف الموت ومن ايقن بالحساب خاف العذاب وهو واقف يسمع كلامها فليل له يا امير المؤمنين اتفق لهذه العجوه هذا الوقوف ؟ فقال والله لو حبستنى من اول النهار الى آخره لا زلت إلا للصلاة المكتوبة : اتدرون من هذه العجوز ؟ خولة بنت ثعلبة سمع الله قولها من فوق سبع سماوات اسمع رب العالمين قولها ولا يسمعه عمر . (١١٥)

*وقالت عائشة رضى الله عنها : تبارك الذى وسع سمعه كل شئى نى لا اسمع كلام خولة بنت ثعلبة ويخفى على بعضه وهى تشتكى زوجها الى رسول الله وهى تقول يا رسول الله اكل شبابى ونثرت له بطنى حتى اذا كبر سنى وانقطع ولدى ظاهر منى اللهم انى اشكوا اليك فما برحت حتى نزل جبريل بهذه الآية ((قد سمع الله)) الى آخره . (١١٦)

عن عائشة رضى الله عنها قالت : الحمد لله الذى وسع سمعه الأصوات لقد جئت المجادلة تشكوا الى رسول الله وانل في ناحية البيت ما اسمع ما تقول فانزل الله عز وجل ((قد سمع الله)) اى آخره . (١١٧)

*عن ابي موسى الأشعري رضى الله عنه قال كنت مع رسول الله في غزاة فلما قبلنا واشرفنا على المدينة كبر النلس تكبيرة رفعوا بها اصواتهم فقال رسول الله ان ربكم ليس باصم ولا غائب ((وفي رواية)) ايها الناس انكم لا تدعون اصما ولا غائبا انما تدعون سميعا قريبا . (١١٨)

*عنا بن شهاب قال : حدثني عروة بن الزبير ان عائشة رضى الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم حدثته انها قالت لرسول الله : يا رسول الله هل اتى عليك يوم كان اشد من يوم احد؟ فقال لقد لقيت من قومك وكا ن اشد ما لقيت منهم يوم العقبة اذ عرضت نفسى على بن عبد يا ليل بن عبد كلال فلم يجبنى الى ما اردت فانطلقت وانل مهموم على وجهى فلم استفق إلا وانا بقرن الثعالب فرفعت رأسى فاذا بسحابة قد اظلمتني فنظرت فاذا جبريل فناداني فقال يا محمد ان الله عز وجل قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك وقد بعث الله ملك الجبال لتأمره بما شئت قال : فناداني ملك الجبال فسلم على ثم قال يا محمد ان الله قد سمع قول قومك لك وانا ملك الجبال وقد بعثني ربك اليك لتأمرني بامرك وبما شئت ان شئت ان اطبق عليهم الإخشيشين فعلت فقال لاله رسول الله بل ارجوا ان يخرج من اصلاهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا . (١١٩)

- قال الشيخ فخر الدين الرازى في قوله تعالى ((ان الله سميع بصير)) اى يسمع كلامهم من يناديه ويصبر من يتضرع اليه.
- وقال الشيخ وهبة الزهيلي رحمه الله بعد ما اورد هذه الآية قد قبل الله شكوى المرأة تراجعك الكلام ايها النبي في شأن زوجها الذى ظاهر منها قائلها ((انت علي كظهر امي)) اى في الحرمة وتشتكى الى الله والله يسمع ما تتراجعان من الكلام ان الله يسمع كل مسموع ويصبر كل مبصر على اتم وجه واكملة ومن ذلك : محاورة هذه المرأة منك والسمع يدرك بها الابصار غير صفة العلم وقوله (قد) بمعناه التوقع لأن رسول الله والمجادلة كان يتوقعان أن يسمع الله مجادلتهم وشكواهما وينزل في ذلك ما يفرج عنها وقوله ((سمع الله)) مجاز عن القبول والإجابة لعلاقة السببية .

- وقال الشيخ محمود آلوسى رحمه الله : في كتابه قد سمع الله الآيات . والسماع مجاز عن القبول والإجابة بعلاقة السببية او كناية عن ذلك (قد) للتحقيق او للتوقع وهو مصروف الى تفرج الكرب لا الى السمع لأنه محقق او الى السمع لأنه مجاز او كناية عن القبول والمراد توقع المخاطب ذلك وقد كان صلى الله عليه وسلم يتوقع أن ينزل الله تعالى حكم الحادثة ويفرج عن المجادلة كرها . وفي الأخبار ما يشعر بذلك والسمع في قوله تعالى : ((والله يسمع تحاوركما)) على ما هو المعروف فيه من دونه صفة يدرك بها الأصوات غير صفة العلم او كونه راجعا اى صفة العلم والتحاور المرادة في الكلام . فجوز أن يراد به الكلام المردد ويقال : كلمته فما رجع الى حوار او حوارا

ومحورة اى ما ما رد على شئ . وصيغة المضارع للدلالة على استمرار السمع حسب استمرار التحاور وتجده وفي نظمها في مسلك الخطاب تغليبا تشريف لها من جهتين . والجملة استئناف جاغر مجرى التعليل لما قبله فلن الحافها في المسألة ومبالغتها في التضرع الى الله ومدافعته عليه الصلاة والسلام اياها وعلمه عز وجل بحالها من داعى الإجابة . وقيل هى حال وفيه أيضا بعد . وقوله تعالى : ((ان الله سميع بصير)) تعليل لما قبله بطريق التحقيق اى أنه تعالى يسمع كل المسموعات ويص ر كل المبصرات على اتم وجه واكملة ومن قضية ذلك ان يسمع سبحانه تحاورهما ويرى ما يقارنه من الهيئات التى من جملتها رفع رأسه الى السماء وسائر آثار التضرع.

● قال الإمام القرطبي رحمه الله : قد سمع الله بالإظهار والأصل في السملع ادراك المسموعات وهو اختيار الشيخ ابي الحسن وقال بن الفورك : الصحيح أنه ادراك المسموعات . وقال الحاكم ابو عبد الله في معنى السميع : أنه المدرك للأصوات التى يدركها المخلوقون باذانهم من غير ان يكون له اذن وذلك راجع الى ان الأصوات لا تخفى عليه وان كان غير موصوف بالحسن المركب فى الأذان كالصم م ن الناس لما لم تكن له هذه الحاسة لم يكن اهلا لأدراك الأصوات والسمع والبصر صفتان كالعلم والقدرة والإرادة والحيلة فهما من صفات الذات لم يزل الخالق سبحانه متصفا بهما.

وشكى وشكى بمعنى واحد

وتدبرو اليها العلماء ومقييسوا العلم مخاطبة خليل الرحمن اياه وتوبيخه اياه بعبادته من كان يعبد . تعقلوا بتوفيق خالقنا جل وعلا صحة مذهبنا وبطلان مذهب مخالفينا من الجهمية المعطلة — قال خليل الرحمن لأبيه : لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر و لا يغنى عنك شئنا . او ليس من المحال يا ذوى الحجا انيقول خليل الرحمن لأبيه آزر : لم تعبد الله ما لا يسمع ولا يبصر وبعبادة ما لا يسمع ولا يبصر ثم يدعوه الى عبادةى ما لا يسمع ولا يبصر كالاصنام التى هى من الموتان لا من الحيوان أيضا . فكيف يكون ربنا الخالق البارئ السميع البصير كما كما بصفة هؤلاء جهال المعطلة . عز وجل عن ان يكون غير سميع ولا بصير فهو كعباد الأوثان والاصنام لا يسمع ولا يبصر او كعباد الأنعام . الم يسمعوا قول خالقنا وبارئنا ((ارايت من اتخذ آلهه هواه افانت تكون عليه وكيلا)) فاعلمنا عز وجل ان من لا يسمع ولا يعقل كالانعام بل هم اضل سبيلا))

ويقول عثمان بن سعيد الدارمى ردا على المريسي : فيقال لهد المرسي الضال : الحمار الكلب احسن ما لا من اله على هذه الصفة لأن الحمار يسمع الأصوات ويرى الالوان بعين والهلك يزعمك اعمى واصم لا يسمع ولا يبصر ولكن الصوت كما تدرك الحيطان و الجبال التى ليست لها اسماع ويرى الالوان بالمشاهدة لا يبصر فى دعواك .

- قال ابن القيم الجوزي رحمه الله :: وقوله قد سمع الله فهذه الآية وصف الله بالسمع والبصر وأنه يسمع ويبصر ببصر حقيقة منزّه عن صفات المخلوقين ومماثلتهم هذا مذهب سلف الأمة وأئمتها وعلى نحو ذلك دل الكتاب والسنة فلا يشك صحيح الفهم البتة في هذا الخطاب أنه صريح لا لا يحتمل التأويل بوجه من الوجوه في إثبات صفة السمع لله حقيقة وأنه يسمع بنفسه.

الهوامش :

١. رواه مسلم في كتاب المساجد (٣٣)
٢. رواه مسلم (١٠٦٤) وأحمد (٤/٣) والبخاري (٣٣٤٤)
٣. رواه أبو داود (٤٧٥٣، ٣٢١٢)
٤. رواه أحمد (٢٨١/١)
٥. البخاري : كتاب التوحيد (٧٤٩٤)
٦. مسلم (١٣١٨) البخاري (١٧٣٩)
٧. تفسير القرطبي : الاعراف ٥٤ : ٢١٩/٧
٨. مصباح المنير في تفسير الآية ٥٤
٩. لمعة الاعتقاد ص ١٢-١٥ نقلا من منهج
١٠. اجتماع الجيوش الإسلامية
١١. لسان العرب ج ١٤ ص ٥٠٩
١٢. الأسماء والصفات ١١٢
١٣. البداية والنهاية ج ١٢ ص ٢٤١
١٤. الأسماء والصفات لابن تيمية
١٥. قرطبي ٢٧٨/٣
١٦. الأسماء والصفات ص ٣٦٣
١٧. سورة الكهف : ١٠٩
١٨. التوبة : ٦
١٩. البقرة : ٧٥
٢٠. الفتح : ١٥
٢١. الكهف : ٢٧
٢٢. الأنفال : ٧
٢٣. الأنفال : ٨
٢٤. الزمر : ٧١
٢٥. يونس : ٩٦
٢٦. هود : ١١٩
٢٧. الأعراف : ١٣٧
٢٨. السجدة : ١٣

٢٩. يس: ٧
٣٠. ق: ٢٩
٣١. النساء: ١٢٢
٣٢. النساء: ٨٧
٣٣. يس: ٥٨
٣٤. الروم: ٨٤
٣٥. كتاب التوحيد لإبن خزيمة (ص ١٣٥)
٣٦. أبو داود (٤٧٣٨)
٣٧. كتاب التوحيد لإبن خزيمة (٣١٦)
٣٨. كتاب التوحيد لإبن خزيمة (٣١٧)
٣٩. البخاري: ٧٤٩١
٤٠. البخاري: ٧٤٩٣
٤١. البخاري: ٧٤٩٨
٤٢. البخاري: ٧٥٠٣
٤٣. البخاري: ٧٥٠٤
٤٤. البخاري في الرقاق: باب ٤٩
٤٥. تسهيل العقيدة (١٢ ص)
٤٦. الجامع الأحكام القرآن (٣ ج ٣٧٩ ص)
٤٧. فتح القدير (١ ج ٦٧٨ ص)
٤٨. ق: ٤١
٤٩. الحجرات: ٤
٥٠. الحجرات: ٣
٥١. النساء: ١٦٣
٥٢. الكواشف الجلية: ٣٧٣-٣٧٥، ٣٧٤ ص
٥٣. مسلم: ٧٥٨
٥٤. البخاري: ١١٤٥
٥٥. كتاب التوحيد لإبن خزيمة: ص ٢٨١
٥٦. كتاب التوحيد لإبن خزيمة: ٢٨٣
٥٧. كتاب التوحيد لإبن خزيمة: ٢٩٣
٥٨. رواه مسلم: ٧٥٨
٥٩. كتاب التوحيد لإبن خزيمة: ٢٦٧
٦٠. الكواشف الجلية ص ٤٥٥
٦١. التمهيد ج ٦ ص ١٣٣
٦٢. منهج اهل السنة والجماعة ص ٥٤٦-ج ٢
٦٣. اجتماع جيوش الاسلامية ص ٢٤٢-٢٤٣
٦٤. الكواشف الجلية ص ٣٤٩
٦٥. القيامة: ٢٣
٦٦. يونس: ٢٦
٦٧. الإنسان: ١١

٦٨. عبس: ٤٠، ٤١
٦٩. الغاشية: ٢، ٣
٧٠. الشورى: ٤٥
٧١. إبراهيم: ٤٢، ٤٣
٧٢. الانفطار: ١٩
٧٣. القيامة: ١٠، ١١، ١٢
٧٤. آل عمران: ١٠٧، ١٠٦
٧٥. عبس: ٤١، ٤٠، ٣٩، ٣٨
٧٦. عبس: ٤٢، ٤١
٧٧. القيامة: ٢٣
٧٨. الأنعام: ١٠٣
٧٩. المطففين: ١٥
٨٠. المطففين: ٢٤
٨١. المطففين: ٢٣
٨٢. مسلم باب معرفة طريقة الرؤية
٨٣. مسلم باب معرفة طريقة الرؤية
٨٤. مسلم باب معرفة طريقة الرؤية
٨٥. مسلم باب معرفة طريقة الرؤية
٨٦. سورة طه: ١٣٠
٨٧. كتاب التوحيد لابن خزيمة
٨٨. كتاب التوحيد لابن خزيمة
٨٩. ص: ٧٥
٩٠. المائدة: ٦٤
٩١. البخاري: ٧٤١٥، ٧٤١٤، ومسلم: ٢٧٨٦
٩٢. الأنعام: ٩١
٩٣. مسلم: ٢٧٥١
٩٤. كتاب التوحيد:
٩٥. كتاب التوحيد: ١٠١
٩٦. مسلم: ٢٧٨٧
٩٧. كتاب التوحيد: ١١٨
٩٨. مسلم: ٢٧٥٧
٩٩. مسلم: ١٨٢٧
١٠٠. مسلم: ٢٧٨٨
١٠١. ص: ٧٥
١٠٢. المائدة: ٦٤
١٠٣. الأنعام: ٩١
١٠٤. هود: ٣٧
١٠٥. القمر: ١٤
١٠٦. البخاري: ٧٤٠٧
١٠٧. الطبري: ج ١٢ ص ٣٩٣، ٣٩٢

١٠٨. ضمن تحقيق نقض عثمان بن سعيد: ص ٥٣٤ ١٠٩. مجادلة: ١
١١٠. الزخرف: ٨٠ ١١١. آل عمران: ١٨١
١١٢. ابن كثير من رواية جرير ١١٣. ابن ماجه:
١١٤. البخاري: ٧٣٨٦ ١١٥. الترمذي: ٣٣٧٤
١١٦. كتاب التوحيد لابن خزيمة

الفصل الثامن: منهج الأشاعرة في أدلة الأسماء والصفات

المسألة الأولى : توهم الأشاعرة بين الأدلة النقلية والعقلية والرد عليهم

وسبب هذا التوهم يرجع الى ما توهموه من افادة الظواهر النقلية للتجسيم والتحيز . وهذا باطل كما تقدم وللرازي قانون كلى يسير عليه عند حدوث التعارض . وهذا القانون يشمل اربعة احوال ويقول مبينا لهذه الأحوال : اما ان يصدق مقتضى العقل والنقل فيلزم تصديق النقيضين وهو محال . واما ان يبطل فيلزم تكذيب النقيضين وهو محال . واما ان يصدق الظواهر النقلية ويكذب الظواهر العقلية وذلك باطل لأنه لا يمكننا ان نعرف صحة الظواهر إلا بمعرفتنا بالدلائل العقلية اثبات الصانع وصفاته و لو جوزنا القدح فى الدلائل العقلية القطعية صار العقل متهما غير مقبول القبول فثبت ان القدح فى العقل لتصحيح النقل يفضى الى القدح فى العقل والنقل معا وأنه باطل . ولما بطل الأقسام الثلاثة لم يبق إلا ان يقطع بمقتضى الدلائل العقلية.(١)

والمناقشة بما يلى :

الوجه الأول : أن المقارنة التى قام بها الرازى غير صحيحة حيث انه قابل بين الأدلة العقلية والأدلة النقلية والصواب ان تكون المقابلة بين الأدلة الشرعية وبين الأدلة البدعية

وبيان ذلك : أن الدليل الشرعية قسمان : قسم شرعي سمعي عقلي بمعنى أن المستند عليه اثبتته الشرع ودل عليه بادلة عقلية . وهذا القسم هو أكثر الأدلة النقلية المشتملة على الأمثال المضروبة وغيرها في القرآن والسنة الدالة على توحيد الله تعالى وصدق رسله وعلى المعاد ويدخل فيه ما اباحه الشرع ونبه عليه .

وقسم شرعي سمعي : بمعنى أن الشيء المستدل عليه في هذا القسم لا يصلح إلا بمجرد خبر الصادق فانه اذا اخبر بما لا يصلح إلا بخبره كان ذلك شرعيا سمعيا . فعلى هذا التقسيم لم يبق دليل صحيح إلا ودخل في هذا التقسيم ثم يبقى ما عداه بدعيا - وبالله التوفيق -

الوجه الثاني :

بعد العلم باقسام الأدلة الشرعية فانه يكون مناط الترجيح على فرض وقوع التعارض بين قطعية دلالة الدليل وظنيته لا على كونه سمعيا او عقليا . والقسمة العقلية لوقوع التعارض تكون هكذا :

اذا تعارض دليلان شرعيان سواء كان عقليين او سمعيين او كان احدهما سمعيا والآخر عقليا فاما ان يكون قطعيين او ظنيين او احدهما قطعي والآخر ظنيا من حيث الدلالة .

والصورة الأولى : وهي ان يكون الدليلان قطعيين ممتنعة الوقوع

اما الصورة الثانية : وهي ان يكون الدليلان ظنيين فانه يصار الى طلب ترجيح احدهما على الآخر في حالة تعذر الجمع باى نوع من انواع الترجيحات الصحيحة المعتمدة ويقطع النظر عن كون الدليل الشرعي سمعيا كان او عقليا فان لم يوجد مرجح قدم السمعي .

واما الصورة الثالثة : وهي ان يكون احد الدليلين قطعي والآخر ظنيا فانه يقدم القطعي على الظني لرجحانه -وهو واضح فالراى جعل مناط تقديم الدليل عند التعارض كون العقل اصلا للنقل ولم يجعل مناط التقديم قطعية الدليل او رجحانه . فعلى هذا فانه امران :

الأول : تقديم دلالة القطعي على الظني .

الثاني : تقديم دلالة الأرجح.

المسألة الثانية : مسلك التأويل والتفويض عند الأشاعرة

وللأشاعرة مسلكان في المسألة ١ - التفويض ٢ - التأويل

التفويض مرادهم بذلك تفويض المعنى المفهوم من النص الذى يوهم التشبيه - وهذا على حد ما زعموا .

وبهذا التعريف انما يتوصلون الى قولهم : انما التفويض يكون بعد التأويل الإجمالى على معنى أنه صرف اللفظ عن ظاهره .
ويظهر ذلك من قول اللقاني :

وكل نص اشبه التشبيه أوله او فوض ورم تنزيها

وقوله ((رم تنزيها)) يدل على ان تعتقد أن ظاهره غير مراد وان تكنى عن المعنى المراد . والباعث على هذا القول قولهم :
(كل نص اشبه التشبيه)) ووضعوا جميع الصفات الواردة موضع توهم للتشبيه وقالوا : هذه طريقة السلف الصالح
واستدلوا على ذلك بقول الله : ((وما يعلم تأويله إلا الله)) (٢) وجه الإستدلال : أنه لا يعلم احد بيان المعنى المراد من
الصفات إلا الله الذى استأثرها .

وأیضا على ذلك قولهم : تضافر السلف على أنها تمر كما جاءت والشاهد على ذلك قول الإمام مالك : الإستواء معلوم
والكيف مجهول)) وكذلك قول بعض السلف امروها كما جاءت .

وخلاصة هذا التعريف واساسه امران :

- ١ - ادعائهم بان الإتفاق حاصل على عدم ارادة الظاهر لأن الظاهر يوهم التشبيه
- ٢ - اعتقادهم بان آية آل عمران دالة على صحة الفتوى وهو الإمساك عن المعنى المراد .

تنفيذ أدلة الأشاعرة

- غير مسلم ان يقال ان ظاهر آيات واحاديث الصفات موهم للتشبيه بل هى دالة على اثبات الصفات على الوجه اللائق بالله تعالى ويتبين ذلك بالآتي:

ان الأشاعرة قد سلموا ان الله حى ب حياة وعليم بعلم وقدير بقدرة الى بقية صفات المعنى السبع مع انهم قالوا : ان ظاهرها على ما يليق بالله فيقال لهم : فيلزمكم كذلك طرد هذه القاعدة فى بقية الصفات كالإستواء والعلو والوجه واليدين والغضب وغيرها فهى ثابتة لله حقا على الوجه اللائق بالله وليس ظاهرها كما هى ثابتة عند البشر .

وهذا تناقض بينتورط فيه الأشاعرة . فلا يسوغ التهوض من الورطة التى الزمتهم فى واقع الأمر - ان يتقبلوا خطأ اعتقادهم لأن الذى يعتذرون به لإدخالهم خلاف الظاهر فى الصفات حاصل فى نفس الصفات التى توسعوا فى كونها جارية على ظواهرها .

ثمتين مغالطاتهم فيما يفرضون إهام التشبيه وهؤلاء يذهلون عن ان دعوى توهم التشبيه لزوم التجوز لا يكون إلا باقامة دليل صارف فالصارف منتفى قطعاً في الصفات فبعد ما ارادوا من فرض للوازم التي يتم بدونها تنزيه البارئ فتبين ان دليلهم للصارف هنا مجرد عقولهم وميولهم.

- ان القول بان نصوص الصفات ظاهرها غير مراد يلزم لوازم باطلة وهي:
- ان يكون الله ورسوله قد تكلم بالباطل المتعطل معنى على معنى ان في القرآن امر تعبدى لا يسوغ ادراكه بوجه من الوجوه . وهذا القول تعرض لرده جميع المفسرين .. وهذا قول فاسد يجعل كلام الله غيباً عند وجود ما يتوصل به الى فهمها . ولم يأت نص واضح جلي يفيد غير ما ذكر في الكتاب والسنة .
- ان قائل هذا المقالة باشر التمثيل اولاً ثم لاح له ان ظاهرها لا يوجب ا لتمثيل والتشبيه فعمد من اجل ذلك الى النص فعطله عن دلالاته على الحق وعطل الصفة الثابتة في نفس الأمر لله . ولذا قال اهل السنة بقاعدة ان كل معطل ممثل وكل ممثل معطل .
- يظهر لمن سرح نظره بادنى تأمل تناقضهم الآخر الواضح وتقريبه للفهم ان الشئ الذي استأثر الله بعلمه لا يعلم ظاهره و لا خلافه وبعبارة اخرى ان المعنى الحقيقي والمجازى مفهوم من الناحية العربية والذي يفهم لا يكون مما لا يعلمه إلا الله . فلا يعقل الإدعاء بان المعنى مما لا يعلمه إلا الله مع الجزم بان الظاهر غير مراد اذ الذي لا يعلمه إلا الله لا يكون ظاهراً لنا .
- ثم دعوا دعواهم بان فهم السلف على نمط ما فهموا .
- وجوابه على ذلك باختصار :
- ان الأئمة مع قولهم امروها كما جاءت صرحوا بان ظواهر النصوص مرادة مع قطع الطعم عن ادراك الكيفية . وهذا يتعارض مع زعم الأشاعرة بان الظواهر غير مراد . وكل ما ذكر من اقوال الصحابة والتابعين والأئمة الأعلام يرد هذا الزعم .
- ومراد السلف بقولهم ((امروها كما جاءت) يرد به احد معنيين :
- امروها بلا تفسير مبتدع وهو تفسير الجهمية .
- امروها بلا تفسير للكيفية وهو قول الامام مالك نفسه : والكيف مجهول واما الإستدلال بالاية فخطأ بين —فيتضح ذلك بما يلي :

قال عبد اللطيف : ان المراد بالتأويل على قراءة الوقف معرفة الحقيقة التي يؤول اليها الخبر —اذ الوقف التام يفيد ان ذلك مما لا يعلمه إلا الله لأن حقائق الصفات وكيفيتها مما لا يظهر للخلق — اما على قول الأشاعرة فانه لا تظهر

فائجة من الوقف اذ هم زعموا أن لها ظاهرا يعلمه البشر ولكنه غير مراد . وانما المراد شئى اخر فشرعوا فى تعيينه
ظنا .

وهذا ينافى التسليم التام الذى وصف الله به المؤمنين فى الآية نفسها وهو قوله تعالى : ((والراسخون فى العلم يقولون
آمنا به كل من عند ربنا))(٣)

الثانى : لو سلم لهم قولهم هذا للزم طرده فى كل نصوص الصفات الدالة على صفات المعانى وغيرها اذ لا
موجب للتفريق إلا التحكم فما كان جوابا لهم عن صفات المعانى فليجيبوا به عن نصة ص بقية الصفات .

الثالث : القول بان التأويل هنا المراد به حقائق الأشياء قول لا يعترض قول من لم يرى الوقف على اسم الجلالة -
اذ التأويل يكون على الثانى بمعنى التفسير الذى هو شرح الكلمات والألفاظ - ومن المعلوم ان الشئى قد يعلم
معناه العام ولكن لا تعلم حقيقته وكنهه كما فى نعيم اجنة فالجمع بين اقوال السلف فى معنى الآية اقوى من القول
بتعارضها كما هو مقرر.

الرابع: ان الأشاعرة لهم مذهبان ويدعون صحتها وهما التأويل والتفويض فلو كانت الآية دالة على تفويض المعنى
والكيفية مطلق لما كانت حاجة للقول بالتأويل والعجب انهم قد احتجوا بالاية نفسها على جواز التأويل باعتبار
قراءة الوصل فو اراد الجمع الصحيح كان عليهم انيقولوا ان لها معانى صحيحة إلا ان حقائقها غير معلومة لنا اما
القول بان لها معنى او لبعضها معنى ثم الزعم بانه لا يعرف لها معنى ثم الزعم بانه لا يعرف معنى فتناقض واضح
ولكنهم يخرجون عن هذا بان الظاهر المنفى هو ما ثبت للمخلوقين وهنا لا يسلم لهم ذلك وتلزمهم اللوازم الباطلة
ويلزم منه التلبيس فى المراد بالظاهر .

التأويل :

المراد بالتأويل حمل اللفظ على خلاف ظاهره المعنى اخر مراد . فعلى هذا يجتمع التأويل والتفويض عند الأشاعرة فى صرف
الظاهر ويفترقان فى ان التأويل يتم فيه تحديد المعنى المراد . واما التفويض فلا يتم فيه هذا التحديد وانما يفوض علمه الى الله
تعالى . فعلى هذا فهو تأويل اجمالى والأول تفصيلي .

ثم الأشاعرة وصفوا طريقة التأويل باعلم واحكم لما فيه مزيد الإيضاح والرد على الخصوم وهى الأرجح . واما طريقة السلف
- وهى التفويض - فاسلم لم فيه من السلامة من تعيين معنى قد يكون غير مراد له .

والموجب لتأويل النصوص عندهم واضح . ويتبين على هذا ايرادات عند الاشاعرة على اهل السنة والجماعة .

والجواب عن ذلك هو : ان الإيراد الاول لا حاجة الى الرد عليه هنا اذ الموجب لهذا التأويل قد تقدمت الإشارة علي هـ مع العلم بان النصوص التي اولوها هي اما نص واما ظاهر راجح وكلاهما لا يحتمل التأويل باتفاق ولكنهم يتكلفونه تكلفا يصيره تحريفا لا تأويلا سائغا.

ومثال ذلك قول الجويني : فمما يعترضون به قوله تعالى ((وهو معكم اينما كنتم))(٤) فان راموا اجراء ذلك على الظاهر حلوا عقد اصرارهم في جمل الإستواء على العرش على الكون عليه . والتزموا فضائح لا يبيء بها عاقل . وان حملوا قوله ((وهو معكم اينما كنتم)) وقوله من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم)) على الإحاطة فقد تسوغوا التأويل .

ويفهم من كلام الجويني في الزامه القائلين بظاهر الآية - انه فهم من المعية ما ينافي الإستواء ويقتضى المغالطة والحلول .

والجواب من أوجه :

- لا يلزم من اثبات المعية الحقيقة ان يكون الله مختلطا بخلقه وذلك : ان الله جمع بين الإستواء والمعية في آية واحدة : ((هو الذى خلق السماوات والأرض)) فوجب التصديق بغير الله .
- ان المعية في اللغة مطلق المصاحبة فانها تقتضى النصر والتأييد كما هو في قوله الله : اذ يقول لصاحبه : ((لا تحزن ان الله معنا))(٥) وقد تقتضى العلم كما في آية التحديد وآية المجادلة . فالاولى افادت علو الله على عرشه وعلمه بعباده وبصره بعلمهم . والثانية افادت علم الله بعباده فان الله بدأها بالعلم وختمها به.

ثم ان قولهم : طريقة السلف اسلم وطريقة الخلف اعلم واحكم فقول متناقض يتضح بثلاثة اوجه من الرد :

الوجه الاول : تعليلهم الطريقة السلف في كونها اسلم بانهم أولوا تأويلا اجماليا باعتقادهم ان ظاهرها غير مراد إلا انهم امسكوا عن تحديد المراد بالكف عن التأويل : فكلام خطأ على السلف فهم اعتقدوا ظاهرها الشرعى عنهم وفي قولهم ان السلف كفوا عن التأويل يفيد ان المتكلفين خرقوا هذا الإجماع . وهذا هو الذى دفع الجويني اخر الى القرار و الرجوع الى طريقة السلف وهى الكف عن التأويل كيف والسلف فيهم الصحابة الذين ورثوا العلم عن الرسول صلى الله عليه وسلم .

الوجه الثاني : قولهم ان طريقة السلف اسلم يستلزم ان تكون اعلم واحكم فالسلامة لا تكون إلا بالحكمة فلو انتفيا لم تكن سلامة فمن اراد السلامة لزمه ان يعلم اسبابها وان يسلك تلك الأسباب بحكمة .

الوجه الثالث : وقولهم ان طريقة الخلف اعلم واحكم لما فيها من مزيد الإيضاح فكلام خطأ أيضا اذ لم يعهد في طريقة المتكلمين إلا الشك والحيرة والإضطراب والتناقض مع ان هذه العبارة فيها قدح في طريقة السلف بانها لم تكن واضحة تماما حتى جاء هؤلاء المتكلمين فاوضحوا الطريقة فهل بوجه قدح ابلغ من هذا.

الهوامش :

١ . منهج اهل السنة والجماعة ص ١٧٢-١٧٣

٢ . سورة آل عمران ٧

٣ . الحديد ٤

٤ . التوبة ٤٠

الفصل التاسع: المقارنة بين الأشاعرة وأهل السنة والجماعة

المسألة الاولى : ماخالفات الأشاعرة أهل السنة والجماعة

ست عشرة مسألة خالف فيها الأشاعرة أهل السنة والجماعة

- مصدر التلقى : العقل :وعليه الجويني والرازي والبغدادى والغزالي والآمدى والإيجي وابت فورك وقالوا : ان الأخذ بظواهر الكتاب والسنة اصل من اصول الكفر وخفف بعضهم فقال : اصل من اصول الضلال وذلك عند التعارف .
- وقد ذكر الرازي ان رواية الصحابة مظنونة بالنسبة لعدالتهم وحفظهم وفي الصحيحين احاديث من وضع الزنادقة .
- صوفية الأشاعرة مصدر التلقى الكشف والذوق على النص وتأويل النص ليوافقه ((العلم اللدني))
- اثبات وجود الله عندنا وانه مع لوم بالضرورة والآثار والحسي والوحي عند الأشاعرة دليل الحدوث والقدم : الكون حادث وكل حادث لا بد من محدث قديم . صفات القديم مخالفته للحوادث وعدم حلولها فيه ومنته مخالفته للحوادث وحلولها فيه اثبات انه ليس جوهرًا ولا غرضًا ولا جسمًا في جهة ولا مكان .
- انكروا الغضب والإستواء لنفى حلول الحوادث في القديم ونفى الجوهرية والعرضية والجهة والجسم اما الفلاسفة فيقولون بقدم الكون .
- التوحيد : وله ثلاثة اقسام وهو اول واجب على المكلف عندنا . اما عند الأشاعرة التوحيد هو : نفى التثنية والتعدد والتبعيض والتركيب والتجزئة اى حسب تعبيرهم ((نفى الكمية المتصلة والكمية المنفصلة .
- اول واجب على المكلف : قالوا النظر وقيل : اول جزء من النظر وان من امن من غير طريق النظر فهو كافر او ضال على خلاف . وخالفهم ابن حجر في هذا الباب وغيره فمثله من أهل السنة لموافقهم تصول أهل السنة كمصدر التلقى وطلب الإيمان وغير ذلك . ولازم قول الأشاعرة في مسألة النظر تكفير الصدر الاول
- مرجئة في باب الإيمان : الإيمان تصديق القلب واختلفوا في الشهادتين ووجوب النطق بها . وعليه لا داعى لحرص النبي على إيمان عمه ابي طالب مع تصديقه له . واولوا كل آية وحديث تدل على ان الإيمان يزيد وينقص .
- الحكمة الغائبة ينفون ان يكون الشيء من افعال الله تعالى على مشتملة على حكمة تقتضى ايجاد الفعل او عدمه وهورد فعل لقول المعتزلة بالوجوب على الله حتى انكر الأشاعرة كل لام تعليل القرآن وقالوا : ان كونه يفعل شيئًا لعله ينافي كونه مختارًا . ويسمون ذلك ينفى الغرض عن الله وجعلوا افعاله راجعة الى المشيئة ولا لصفة اخرى كالحكمة وعندهم انه يجوز على الله ان يخلد في النار اخلص اوليائه ويخلد في الجنة افجر الكفار به . وجواز التكليف جمالا يطاق وسبب التأصيل عدم فهمهم إلا تعارض بين المشيئة والحكمة او المشيئة والرحمة واكتفوا باثبات الإرادة .

ومأخذهم فيها هو مأخذهم في القدر . فمثلا عندهم : ان النار تحرق بطبعها او هى علة الاحراق فهو كافر مشرك . لأنه لا فاعل عندهم إلا اللع مطلقا . ومن قال: انها تحرق بقوة مودعة فيها فهو مبتدع . مثال : اذا كسر رجل زجاجة ما انكسرت بكسره وانما انكسرت عند كسره والنلر لا تحرق بسببها وانما تحرق عندها واذا شبع الانسان ما شبع بالاكل وانما شبع عند الاكل .

❖ الإرادة : عنهم هى : المحبة والرضا اولوا قوله : ولا يرضى لعباده الكفر)) بانه لا يرضاه بعباده المؤمنين بقى السؤال وهل رضيه للكفار ام فعلوه وهو لا يريد .

❖ القدر : ارادوا التوفيق بين الجبرية والقدرية فجاءوا بنظرية الكسب وهى فى مالها جبرية خالصة . لأنها الفاء لقدرة العبد وقد عجزوا عن فهمها فضلا عن افهامهم لغيرهم قال الرازى : ان الانسان مجبور فى صورة مختار فنسبة الكسب للعبد وذكر بعضهم مصورا اقتران قدرة الله بقدرة العبد بالحجر الكبير يعجز عن حمله رجل ويقدر عن حمله اخر منفردا فاذا اجتماعا جميعا كان حصول الحمل باقواهما ولا خرج اضعفهما بذلك عن كونه كاملا وعلى هذا المثل يعتمد الجبرية وبه يتجرأ القدرية المنكرون لأنه لو ان الاقوى من الرجلين عذب الضعيف وعاقبه على حمل العجز يكون ظالما لأن الضعيف لا دور فى الحمل وهذه مجرد مشاركة صورية .

❖ النبوات : ارسل الرسل عندهم للمشيئة المحضة ولا دليل على صدق النبي صلى الله عليه وسلم إلا المعجزة وافعال السخرة من جنس المعجزة إلا انها غير مقرونة بالتحدى ولو ادعى الساحر انه نبي لسبيله الله معرفة السحر رأسا لأن ذلك اضلال من الله وهو يمتنع عليه الغضلال والمتصوفة منهم يفسرون الوحي انه انتقاش العلم الفائض من العقل الكلى فى العقل الجزئى ويتكرون صدور الذنب عن الانبياء فى موضع العصمة .

❖ التحسين والتقبيح : يتكرون اى دور فى الحكم على الاشياء بالحسن والقبح ويقولون مرد ذلك الى الشرع وحده . وهذا رد نحل لقول البراهمة والمعتزلة : العقل يوجب حسن الحسن وقبح القبيح مما يترتب على هذا التأصيل قولهم ان الشرع قد يأتى بما هو قبيح فى العقل . فالغاء دور العقل كليا اسلم اسلم من نسبة القبح الى الشرع . مثل ذبح الحيوان قبيح فى العقل وايلام بلا ذنب ومع ذلك اباحه الشرع وهذا دليل ابراهيمة المحرمين الحيوان ومننت اسباب ذلك مناقضة اصل من قال بوجوب الثواب والعقاب على الله بحكم العقل ومقتضاه .

❖ التأويل : معناه المبتدع السببية وافعال المخلوقات : ينكرون الربط العادى باطلاق وانكروا كل باء السببية وكفروا وبدعوا من خالفهم * — صرف اللفظ عن ظاهره الراجح الى احتمال مرجوح بقرينة .

فهو بذلك تحريف للكلام عن مواضعه وهذا اصل منهجى عن الأشاعرة فى الاسماء والصفات والإيمان ونصوص الوعد والوعيد وقصص الانبياء خصوصا فى العصمة :

اما التأويل عن السلف فله معنيان :

التفسير :

❖ الحقيقة التي يؤول الى الشيء هذا تأويل رؤى من قبل يوم يأتي تأويله .

اما التأويل فهو وضع الدليل في غير موضعه باحتهاد او شبه تنشأ عن عدم فهم للنص .

❖ السمعيات : لله سبع صفات عقلية يسمونها معاني : الحياة والعلم والقدرة والارادة والسمع والبصر والكلام .

وله سبع صفات معنوية حيا عالما قادرا..... (١)

❖ الصحابة والإمامة : من خلال استعراض امهات كتب الأشاعرة وجدت ان موضوع الصحابة هو الموضوع الوحيد الذى يتفقون فيه مع اهل السنة والجماعة . وقريب منه موضوع الامامة ولا يعنى هذا الاتفاق التام بل هم مخالفون في تفصيلات كثيرة. (٢)

المسألة الثانية : ما وافقت الأشاعرة اهل السنة والجماعة

وهذا العنوان لا ينبغى لتصديره لوضوح الامر بما تقدم من مخالفتهم اهل السنة والجماعة في مسائل اوردتها .

واما الموافقة فيطلع عليها الناظر في جميع اطراف هذا المبحث وقد تكون الموافقة في جميع فروع المسألة فافهم .

فيتبين ان مدار اختلافهم يدور غالبا على مسألة التأويل وصرف اللفظ عن ظاهره فصار ذلك اسوة وامتدادا لظهور مسائل جمّة تترتب عليها ولذلك يستطيع ان يتأمل الناظر التناسب الذى يترتب في جميع مسائل التأويل وغالبا سادت كلام الأشاعرة تصرفا تهم الشيعة في مسألة التأويل فشنعوا الكلام في مسائل غالية حتى يتعصى للباحث ان يعرف الموافقة في اسلوبهم وكذلك يمكنك ان تتأمل في قضية الأشاعرة انه تكون موافقتهم مع اهل السنة والجماعة حين لا يرون مجال الخرو . من مسلك اهل السنة ولذلك تراهم يوافقون اهل السنة في قضية حمل اللفظ على ظاهره مع انك يخالفونهم في نفس المسألة وذلك لسوء قصدهم وشدة تمذهبهم لمذهبهم وشن خمدهم على اهل السنة غالبا .

ويتسهل على الباحث ان يلتقط موافقة الأشاعرة اذا دفع النظر وسرح الفهم وافصح الذهن في اساليب الأشاعرة مع المقارنة بين اساليب اهل السنة ويحتال الى ذلك التكرس لهذا الفن.

المسألة الثالثة : الحكم على الأشاعرة

قال الشيخ العثيمين : انه لا يعد الأشاعرة والماتريدية فيما ذهبوا اليه في اسماء الله وصفاته من اهل السنة والجماعة وكيف يعدون من اهل السنة والجماعة في ذلك مع مخالفتهم لأهل السنة والجماعة .

لأنه يقال : اما ان يكون الحق فيما ذهب اليه هؤلاء الاشاعرة والماتريدية او الحق فيما ذهب اليه السلف الصالح . ومن المعلوم ان الحق فيما ذهب اليه السلف لأن السلف هنا هم الصحابة والتابعون وأئمة الهدى من بعدهم فاذا كان الحق فيما ذهب اليه السلف وهؤلاء يخالفونهم صاروا ليسوا من اهل السنة والجماعة في ذلك: (٣)

وظهر ان الأشاعرة من اهل القبلة لا من اهل السنة والجماعة . وهذا محال جدل زل فيه كثير ممن يجهلون مذهب اهل السنة والجماعة في فهم الفاظ الوعد والوعيد والكفر وغيرها من الفاظ العقاب . وذهبوا الى تكفير الأشاعرة وادخالهم النار . ولفظ الضلال من الفاظ الوعيد ليس مرادفا للكفر باطلاق واذا انصرف الاطلاق الى احد من اهل القبلة فهو دال على المعصية كما ان لفظ المعصية دال على المعصية في الأعمال .

وكذلك الضلال الفسق يطلقان على الكفر كما في نحو قوله تعالى ((ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا))(٤) وقوله ((ولقد انزلنا اليك آيات بينات وما يكفر بها إلا الفاسقون))(٥) ونفسا كلمة الكفر أيضا قد يطلق على الكفر الاكبر الذي لا يخرج صاحبه من الملة كما في نحو قول رسول الله ((سباب المسلم فسوق وقتاله كفر))(٦)

ومن اصحاب الفرق البدعية منهم من هو على حد الادنى منها وله مع ذلك علم وعبادة وجهاد واخلاص في نصرة الدين ومنهم من يكون مقدمتهم في البدعة داعيا اليها وكذلك ان الذين ينطوون الى مناهج بدعية ليس منهم اصلا بل يكون متوهم يحسب انهم على الحق وهذا الانتساب اليهم لا ضير فيه .

والمعلوم ان احكام الآخرة ومنازل الناس فيها خاضعة لأمر احكام الحاكمين واعدلهم . واما نحن في الدين فما مورون ان نحكم على كل منهم او فرد بما حكم الله له عليه من غير افراط ولا تفريط وتقييد باضوابط التي جاءت في مذهب السلف .

الهوامش :

١. العقيدة الواسطية ج ٢ ص ٣٧٢

٢. سورة النساء ١١٢

٣. سورة البقرة ٩٩

الخاتمة

وفقنى الله للتمكن من اتمام هذا المبحث عام ٢٠١٠/ ١/٤ وقد قمت بمعالجة هذا المبحث بتسهيل تداوله بين الطلبة الكرام وانتهجت لتأليف هذا البحث ما انتهجه صاحب منهج الأشاعرة ليكون سياق البحث على تنظيم منتظم .
واقول الآن التخطيطات التى سرت عليها خلال هذا البحث :

- ❖ وقد وضعت تسعة فصول رئيسية حيث يكون لكل منها ما يناسبه وما ينسجم معه من المسائل التى طاف حولها العلماء .
- ❖ قمت بتحشيد آراء العلماء فى شتى المسائل لتدعيم ما انحاز اليه اهل السنة والجماعة.
- ❖ قمت بسرد نقاط مهمة عن تعريف الأشاعرة ونشو بها وذكر تراجم من انتصر لمذهبه كى يكون الأمر وضوحاً لمن يتتبع القضايا العقدية .
- ❖ انه ما فاتنى أن أتى بما سار لخدمة اهل السنة والجماعة ليتضح الفرق بينهم وبين من جانبهم من اهل البدع والأهواء .
- ❖ فكان مما يتطلب اليه كل طالب أن يطلع على آراء الفرق العقدية كى لا يحكم عليهم بما لا يليق بهم .
- ❖ وقمت بممارسة هذا البحث حيث يكون حافلاً باحاديث وآيات قرآنية مما يعين الباحث على تحقيق متحقق وبصيرة راجحة والمأم صائب .
- ❖ وعلى حين ما اوردت ما تشئت من اقوال الأئمة مما وجدت فيما لدينا من المصادر تحاشيت معظمها خشية للإسهاب وكفاية بما اتيت .

وهذه اهم النقاط اتى يتطلب اليها القارئ لبركهم فى اوان الخاتمة التى هى عبارة عن خلاصة هذا البحث وعصا رته علما بأن ابواب الفقه العقدية الرئيسية تتفرع عليها تفرعات وتفريعات ةتحصيلات عديدة يصعب ضبطها فى

ابواب تتبعها وتنسجم معها لكونها متشابهة متداخلة بعضها من بعض . ولذا تفضلت الى القارئ الكريم بذكر أهم النقاط ستغنيها بها عن فروعها .

وأخيرا : هذه بضاعتي أحسب لها قيمة ضئيلة امام العلماء الذين هم أول عذرة في هذا الفن إلا أني صادفت رغبتى حيث أسأل الله ان اقارب هدي بها . وهذا جهد من يحتاج الى دراسة زائدة فاضلة عما عنده من بضاعته الآن . والعلم المطلق والعصمة في الأمور لا يدعيها أحد انفسه سواه تعالى وتقدس . ولذا العذر كل العذر لمن يطالع على هفوات او زلات زلت بها قدم هذا الفقير أن يغتفرها محتسبا له الأجر من الله ومصوبا له الخير والصواب فيما حرره . واخيرا اطبع على البحث بطابع الختام بقلبي الرحب متذللا متواضعا لكل من ساندني على تمام هذا البحث راجيا اليهم من الله الأجر الجزيل والحمد لله رب العالمين .

كلية ابن عباس العربية - جالي

الاثنين ١٧/١/١٤٣١ هـ

الموافق ٢٠١٠/١/٤ م

بقلم

أخيكم في الله

محمد رفيق بن محمد حنيفة

جالي - كلية ابن عباس العربية

فهرس الآيات

<u>الآيات</u>	<u>أسماء السور</u>	<u>رقم الآية</u>
الرحمن على العرش استوى	سورة طه	٥
اليه يصعد الكلم الطيب	سورة فاطر	١٠
ليس كمثله شيء وهو	سورة الشورى	١١
ولا يحيطه علما	سورة طه	١١
ولقد بعثنا في كل أمة رسولا	سورة النحل	٣٦
وما ارسلنا من قبلك من	سورة الانبياء	٢٥
يقوم اعبدوا الله مالكم من اله	سورة الاعراف	٧٣
وابراهيم اذ قال لقوم اعبدوا	سورة العنكبوت	١٦
قل انى امرت ان اعبد الله	سورة الزمر	١١
وقالوا اتخذ الرحمن ولدا	سورة مريم	٨٨
ياعبادى لا خوف عليكم	سورة الزخرف	٦٨
فبشر عبادى اللذين يستمعون	سورة الزمر	١٧
ذلكم الله ربكم له الملك	سورة الفاطر	١٣
ومن الناس من يتخذ	سورة البقرة	١٦٥
قل ان كنتم تحبون الله	سورة آل عمران	٣١
قل اطيع الله والرسول	سورة آل عمران	٣٢
وما كنا معذيينحتى نبعث	سورة بنى اسرائيل	١٥
ضرب لكم مثلا من انفسكم		

٥٤	سورة الزخرف	فاستخف قومه فاطعوه
٢٤	سورة النازعات	انا ربكم الاعلى
٣٧	سورة المؤمن	فاطلع الى اله موسى
٤٩	سورة طه	قال فمن ربكما ياموسى
٢٢	البقرة	فلا تجعلوا لله اندادا
٣	الزمر	والذين اتخذوا من دون
١٨	يونس	ويعبدون من دون الله ما
٣٣	الرعد	افمن هو قائم على كل
١٢٦	الصفه	ربكم ورب آبائكم الاولين
٢٤	يوسف	اذكرني عند ربك فانساه
٥٠	يوسف	قال ارجع الى ربك
٤١	يوسف	اما احذكما فيسقى ربه خمرا
١٥	سبأ	بلدة طيبة ورب غفور
٢٣	الحشر	هو الله الذى لا اله الا هو
٢	المملك	الذى خلق الموت والحياة
٢١	يونس	واذا اذقنا الناس رحمة
١١	الفتح	قل فمن يملك لكم من الله
٢	الفاطر	ما يفتح الله من رحمة فلا
٢	الرعد	ثم استوى على العرش
٢	الرعد	يدبر الامر يفصل الآيات
٥٨	الذاريات	ان الله هو الرزاق ذو القوة
٣٣	ابراهيم	الله الذى خلق السموات
١٢	يونس	واذا مس الانسان الضر
٦٧	بني اسرائيل	واذا مسكم الضر دعانا
١٠٢	بني اسرائيل	لقد علمت ما انزل هؤلاء
١٤	النمل	وجحدوا بها واستيقنتها
١٠	ابراهيم	افى الله شك فاطر السموات

٦٨	الرجل	والله اخرجكم من بطون
٣٠	الروم	فطرة الله التي فطر
١٣	هود	ام يقولون افتراه قل
١	الروم	الم غلبت الروم
٢٤	الشعراء	رب السموات والارض
٣٥	الطور	ام خلقوا من غير شيء
٢٢	الانبياء	لوكان فيهما آلهة إلا الله
٢	البقرة	ذلك الكتاب لا ريب فيه
٣٦	بني اسرائيل	ولا تقف ما ليس لك به شيء
٣٣	الاعراف	قل انما حرم ربي الفواحش
١١٠	بني اسرائيل	قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن
٨٩	النحل	ونزلنا عليك الكتاب تبيانا
٤٤	النحل	وانزلنا اليك الذكر لتبين
١	الاعلى	سبح اسم ربك الاعلى
١٥٨	النساء	بل رفعه الله اليه
٣	المعارج	تعرج الملائكة والروح
١٥	الملك	امنتم من في السماء
٥٠	النحل	يخافون ربهم من فوقهم
١٠٩	الكهف	ولو انما في الارض من
٦	التوبة	وان احد من المشركين
٧٥	البقرة	يسمعون كلام الله
١٥	الفتح	يريدون ان يبدلوا كلام
٢٧	الكهف	واتل ما اوحى اليك
١٣٧	الاعراف	وتمت كلمة ربك الحسنی
٨٧	النساء	ومن اصدق من الله قيلا
٢٤	سبأ	وان او اياكم لعلى هدى
١٥٨	الانعام	هل ينظرون ان تأتيهم

٢٦	يونس	للذين احسنوا الحسنى
٤٠	عبس	وجوه يومئذ عليها غبرة
٤٥	الشورى	وتراهم يعرضون عليها
٢٣	القيامة	الى ربها ناظرة
١٠٣	الانعام	لا تدركه الابصار ولا
٧٥	ص	خلقت بيدي
٦٤	المائدة	يداه مبسوطتان
٩١	الانعام	وما قدر الله حق قدره
٣٧	هود	واصنع الفلك باعيننا
١٤	القمر	تجري باعيننا
٦٤	المائدة	وقالت اليهود يد الله
١	المجادلة	قد سمع الله قول التى
١٨١	آل عمران	لقد سمع الله قول الذين قالوا
٨٠	الزخرف	ام يحسبون انا لا نسمع سرهم
١١٢	النساء	ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا

المخرج	الراوى	طرف الحديث
مصنف ابن ابي شيبة		اوثق عرى الاسلام
البخاري	زيد ينخالد الجهني	فذرهما حتى يلقاها ربها
البخاري	ابو هريرة	ان تلد الامة ربتها
البخاري	ابو هريرة	ما من الانبياء من نبي
البخاري	جابر بن سمرة	اذا هلك كسرى فلا كسرى
ابو داود		خلافة النبوة ثلاثون
احمد		اسألك بكل اسم هو لك
البخاري	ابو هريرة	ان لله تسعة وتسعين
البخاري	أنس	حتى يضع رب العزة رجله
البخاري	جرير بن عبد الله	انكم سترون ربكم
المسلم	ابو هريرة	اتت فاطمة رسول الله
احمد	ابو هريرة	الملائكة يتعاقبون
البخاري	ابو سعيد الخدري	انا امين من في السماء
ابو داود	البراء بن عازب	ايتهل النفس المطمئنة
البخاري	البراء بن عازب	انتم تسألون عني
البخاري	ابو هريرة	ينزل تبارك وتعالى
كتاب التوحيد	ابو هريرة	قال آدم انت موسى
كتاب التوحيد	ابن عمر	اذا تكلم الله بالوحي
كتاب التوحيد	صفوان بن محرز	ان الله يدني المؤمن
البخري	ابو هريرة	يؤذني ابن آدم
البخاري	ابو هريرة	بينما ايوب يغتسل
البخاري	ابو هريرة	اعددت لعبادي الصالحين
البخاري	زيد بن خالد	مطر النبي صلى الله
البخري	ابو هريرة	اذا احب عبادي لقائي
البخاري	عبد الله بن انيس	سمعت رسول الله يحشر الله
مسلم	ابو سعيد الخدري	ان الله يمهل حتى يذهب

ابو هريرة	البخاري	ان الله يمهل حتى يذهب شطر
ابو هريرة	كتاب التوحيد	ينزل لله تبارك وتعالى
ابو هريرة	كتاب التوحيد	اذا مضى شطر الليل
نافع بن جبير	كتاب التوحيد	اذا ذهب نصف الليل
ابن مسعود	البخاري	ان الله يمسك السموات
ابو هريرة	كتاب التوحيد	ان العبد اذا تصدق من
ابو هريرة	مسلم	لما خلق الله الخلق
سعيد بن المسيب	مسلم	يقبض الله الارض
ابو موسى	مسلم	ان الله ييسط يده بالليل
ابن عمر	مسلم	ان المقسطين عند الله
عبد الله بن مقسم	مسلم	يأخذ عزوجل سمواته
عائشة	ابن ماجه	تبارك الذى وسع سمعه
عائشة	البخاري	الحمد لله الذى وسع سمعه
ابو موسى	الترمذى	كنت مع رسول الله فى غزاة
عائشة	كتاب التوحيد	هل اتى عليك يوم كان اشد
ابو سعيد الخدري	مسلم	ان ناسا فى زمن رسول الله
عطاء بن يزيد	مسلم	هل نرى ربنا يوم القيامة
ابى بكر بن عبد الله	مسلم	جنتان من فضة آتيتهما
صهيب	مسلم	اذا دخل اهل الجنة الجنة

* ابن تيمية : أحمد بن عبد الحليم عبد السلام الحراني تقي الدين أبو العباس تفقه في مذهب الإمام أحمد بن حنبل ، ومن مصنفاته مجموع فتاوى واقتضاء الصراط المستقيم وغيرهم كثير رحمه الله سنة ٧٢٨ هـ .

(شذارات الذهب نقلا من معالم أصول الفقه ص:٣٧)

* ابن حجر : هو أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد العسقلاني المشهور بابن حجر ولد ٧٧٢ هـ وتوفي سنة ٨٥٢ هـ وله مصنفات كثيرة منها فتح الباري شرح صحيح البخاري . (مقدمة فتح الباري)

* ابن عباس : هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب حبر هذه الأمة دعا رسول الله بالحكمة والتأويل توفي سنة ٦٧ هـ (تهذيب الأسماء واللغات ١ / ٢٨٨)

* ابن عمر : هو عبد الله بن عمر بن الخطاب القرشي الصحابي شهد الخندق ، وما بعدها من المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أحد المكثرين رواية الحديث توفي سنة ٧٣ هـ .

(تهذيب الأسماء واللغات ١ / ٢١١)

* ابن القيم : هو محمد بن أبي بكر بن أيوب سعد بن زرعي ثم الدمشقي شمس الدين أبو عبد الله ابن القيم الجوزية تفقه في مذهب الإمام أحمد ، ولازم ابن تيمية ، وله كتب كثيرة : من أشهرها : زاد المعاد وتوفي رحمه الله سنة ٧٥١ هـ . (البداية والنهاية ٢٦/٨)

* المباركفوري : هو الإمام الحافظ أبو العلاء محمد بن عبد الرحمان المباركفوري من مصنفاته : تحفة الأحوذى شرح جامع الترمذي وتوفي رحمه الله سنة ١٣٥٣ هـ . (مقدمة تحفة الأحوذى)

* الإمام الشافعي : هو أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع القرشي ، أحد أئمة المذاهب الفقهية الأربعة ولد بمدينة غزوة سنة ١٥٠ هـ ثم رحل إلى مكة وحفظ القرآن وهوابن تسع سنين ، اشتهر بالفقه، واللغة والشعر أشهر مآلفاته ((الأم)) توفي سنة ٢٠٤ هـ .

* الإمام أحمد بن حنبل : أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني أبو عبد الله الفقيه المحدث إليه ينسب المذهب الحنبلي كان إماما في الفقه والحديث والزهد والورع له كتاب المسند بإمام أهل السنة ولد ١٢٤ هـ توفي سنة ٢٤١ هـ.

* الإمام أبو حنيفة : هو نعمان بن ثابت بن طاوس أبو حنيفة الفقيه الكوفي إليه ينسب المذهب الحنفي كان عالما عاملا زاهدا عابدا ولد سنة ٨٠ هـ وتوفي سنة ١٥٠ هـ. (البداية والنهاية)

* القرطبي : هو عبد الله بن محمد بن أحمد بن أبي بكر فرج الأنصاري الخزرجي الأندلسي القرطبي المالكي كان ثقة حافظا وتوفي رحمه الله بالمنية أوائل سنة ٦٩١ هـ. (مقدمة النشر في الجامع لأحكام القرآن)

* ابن كثير: هو إسماعيل بن عمر بن كثير بن الدمشقي عماد الدين أبو الفداء الحافظ المفسر المؤرخ الفقيه الشافعي محب بن تيمية ومن مصنفاته البداية والنهاية وتفسير ابن كثير توفي سنة ٧٧٤ هـ.

_____ الصنعاني: هو محمد بن إسماعيل بن صلاح الأمير الكحلاني الصنعاني برع في العلوم المختلفة وكان جريئا في قول الحق .من مصنفاته : سبل السلام توفي سنة ١١٨٢ هـ.

ابن عبد البر: هو الإمام الحافظ أبو عمر ، يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي الأندلسي المالكي ، الفقيه المحدث ، برع في العلم ، وله مؤلفات كثيرة في كل فن منها : التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد والاستذكار . وكلاهما في الحديث وتوفي سنة ٤٦٣ هـ .

* إمام الحرمين: هو إمام الحرمين أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن عبد الله الجويني شيخ الشافعية في زمانه ومن مصنفاته : البرهان في أصول الفقه توفي سنة ٤٧٨ هـ (البداية والنهاية ٣٦١/٨)

* الرازي : هو أبو عبد الله فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين القرشي التيمي البكري أحد الفقهاء الشافعية ومن مصنفاته : التفسير الكبير توفي ٦٠٦ هـ (البداية والنهاية ٥٦٠/٨)

* ابن عثيمين : هو محمد بن صالح بن عثيمين ولد ١٣٤٧ هـ كرس جل حياته لرسالة الإسلام لدعوته وألف ما يزيد على ٣٥ كتابا ورسالة توفي ١٤٢١ هـ

* عبد الله بن مسعود : هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن مسعود بن غافل الهذلي سادس ستة في الإسلام وشهد مع رسول الله بدرا وأحدا وشهد له رسول الله بالجنة وتوفي سنة ٣٢ هـ (تهذيب الأسماء واللغات ٤٠٣/٢)

* عائشة : هي أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر تزوجها رسول الله بمكة وهو بنت ست ودخل بها في المدينة وهي بنت تسع سنين وتوفي عنها وهي بنت ثمان عشرة سنة وتوفيت سنة ٥٧ هـ (الوافي ٣٩٧)

* وهبة الزهيلي : هو الدكتور وهبة الزهيلي أستاذ الفقه الإسلامي وأصوله بجامعة دمشق كلية الشريعة من مؤلفاته : الفقه الإسلامي وأدلته، التفسير المنير.

* البخاري : هو الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل الجعفي صاحب جامع الصحيح أمير المؤمنين في الحديث أجمع الناس على صحة كتابه الصحيح ولد سنة ١٩٤ هـ وتوفي سنة ٢٥٦ هـ.

(تهذيب الأسماء واللغات ٤٤/١)

فهرس المصادر

أسماء الكتب	المؤلف	الطبعة
منهج أهل السنة والجماعة ومنهج الأشاعرة في توحيد الله	خالد عبد اللطيف بن محمد نور	الطبعة الأولى

		تعالى
الطبعة الأولى	خالد بن علي المرضي الغامدي	نقض عقائد الأشاعرة والماترودية
الطبعة الثانية	عبد الله بن عبد العزيز الجبرين	تسهيل العقيدة الإسلامية
الطبعة الرابعة	شيخ الإسلام ابن تيمية	شرح عقيدة الواسطية
الطبعة التاسعة	أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري اللالكائي	شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والتابعين من بعدهم
	أبو بكر بن الحسن بن علي البيهقي	الأسماء والصفات
الطبعة الأولى	تقي الدين ابن تيمية	الأسماء والصفات
الطبعة الحادية عشرة	عبد العزيز محمد السلطان	الكواشف الجليلة عن معاني الواسطية
الطبعة الأولى	محمد بن إسماعيل البخاري	خلق أفعال العباد والرد على الجهمية وأصحاب التعطيل
الطبعة الثالثة	شمس الدين أبو عبد الله محمد بن الشيخ الصالح أبو بكر بن أيوب بن سعد الشهير بابن القيم	الصواعق المرسلة على الجهمية والمعتلة

	الجوزية	
الطبعة الأولى	عبد الرحمن دمشقية	موسوعة اهل السنة والجماعة
الطبعة الرابعة	ابو الحسين مسلم ابن الحجاج القشيري النيسابوري	مسلم
الطبعة الاولى	محمد بن اسماعيل البخاري	صحيح البخاري
الطبعة الأولى	عثمان بن سعيد الدارمي	نقض عثمان بن سعيد على المريزي العنيد في ما افترى على الله في التوحيد
الطبعة الأولى	عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي	تفسير ابن كثير
الطبعة الأولى	فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي التميمي البكري الرازي الشافعي	التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب
الطبعة الأولى	أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي	روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني
الطبعة الأولى	جلاد الدين السيوطي	الدرر المنتور في التفسير بالمأثور

٢-١ مقدمة

الفصل الاول :

٣ تعريف الاشاعرة.

٤-٣ نشأة الأشاعرة

٧-٤ العلماء المرموقون المنتمون عند الاشاعرة

٩-٧ المراحل الاعتقادية الثلاث التي مر بها ابو الحسن الأشعري.

الفصل الثاني: منهج اهل السنة والجماعة في مسائل توحيد الالهية

١١ المطلب الاول : حقيقة توحيد الالهية.

١١ المسألة الاولى : تعريف توحيد الالهية

١٢-١١ المسألة الثانية : تعريف العبادة

١٣-١٢ المسألة الثالثة : اركان العبادة وشرطها

الفصل الثالث : منهج الاشاعرة في ادلة توحيد الالهية

١٥ المطلب الاول : حقيقة توحيد الالهية.

١٥ المسألة الاولى : تعريف كلمة اله.

١٦-١٥ المسألة الثانية : تقرر توحيد الالهية بالادلة النقلية فقط.

المطلب الثاني : أدل عقلية سلكها المتأخرون لتبرير بعض انواع الشرك

١٧-١٦ القياس الاول : قياس الميت على الحي في الطلب منه والإستغاثة.

١٧ القياس الثاني : قياس الواسطة في العبادة على الواسطة في تبليغ الرسالة.

الفصل الرابع : منهج اهل السنة والجماعة في مسائل توحيد الربوبية

المطلب الاول : حقيقة توحيد الالهية

المسألة الاولى : معنى كلمة الرب لغة واصطلاحاً..... ١٩

المسألة الثانية : مدلول كلمة الرب من حيث هي اسم الله..... ٢٠

المسألة الثالثة: تعريف توحيد الربوبية ٢٢-٢١

المطلب الثاني : منهج اهل السنة والجماعة في ادلة اثبات الربوبية

المسألة الاولى : الادلة الدالة على الربوبية..... ٢٢

المسألة الثانية : دليل الفطرة ٢٤-٢٢

المسألة الثالثة : دلالات بعثة الانبياء وآياتهم على وجود الله ٢٥-٢٤

المسألة الرابعة : دليل الآيات ٢٦

المسألة الخامسة : المقاييس العقلية ٢٧

الفصل الخامس : منهج الاشاعرة في مسائل توحيد الربوبية

المسألة الاولى : منعهم قيام الافعال الاختيارية..... ٣٢-٣٠

المسألة الثانية : دليل اثبات وجود الله عند الاشاعرة..... ٣٤-٣٢

المسألة الثالثة : دليل اثبات وحدانية الله ٣٥-٣٤

الفصل السادس : منهج اهل السنة والجماعة في مسائل توحيد الاسماء والصفات

المطلب الاول : المسائل المتعلقة بالاسماء والحسني

المسألة الاولى : اسماء الله الحسنى توقيفية..... ٣٨-٣٦

المسألة الثانية اسماء الله اعلام واوصاف محض..... ٣٩-٣٨

المسألة الثالثة : اسماء الله غير مخلوقة ٤٠-٣٩

المسألة الرابعة : اسماء الله غير محصورة ٤١

المطلب الثاني : منهج اهل السنة والجماعة في ادلة الاسلام والصفات

المسألة الاولى : اجراء النصوص على ظاهرها وعدم تحريفها ٤٣-٤٢

المسألة الثانية : اثبات صفات كمال وصفات حقيقة بلا تمثيل ولا تكييف ٤٥-٤٣

المسألة الثالثة : البحث عن التأويل والتفويض ٤٧-٤٥

الفصل السابع : منهج الاشاعرة في توحيد الاسماء والصفات

المطلب الاول : المسائل المتعلقة بالصفات عند الأشاعرة

المسألة الاولى : مناقشتهم في اثبات استواء الله والعلو ٥٥-٤٩

المسألة الثانية : اثبات صفة الكلام لله ٥٩-٥٥

المسألة الثالثة : اثبات صفة النزول لله الى السماء الدنيا ٦١-٥٩

المسألة الرابعة : اثبات الصفة : الجهة والمكان والحد ٦٤-٦١

المسألة الخامسة : اثبات رؤية الله يوم القيامة ٦٨-٦٤

المسألة السادسة : اثبات صفة المجيئ والإتيان ٧٠-٦٨

المسألة السابعة : اثبات صفة اليدين لله ٧٣-٧٠

المسألة الثامنة : اثبات العين لله ٧٥-٧٣

المسألة التاسعة : اثبات صفة السمع والبصر لله ٧٧-٧٥

الفصل الثامن : منهج الأشاعرة في ادلة الاسماء والصفات

المسألة الاولى : توهم الاشاعرة التعارض بين الادلة النقلية والعقلية ٨٢-٨١

المسألة الثانية : مسلك التأويل والتفويض عند الاشاعرة ٨٥-٨٢

الفصل التاسع : المقارنة بين الاشاعرة واهل السنة

المسألة الاولى : ما خالفت الاشاعرة اهل السنة والجماعة ٨٩-٨٧

٨٩	المسألة الثانية : ما وافقت الأشاعرة اهل السنة والجماعة
٩٠	المسألة الثالثة : الحكم على الاشاعرة
٩٢	الخاتمة
٩٥-٩٣	فهرس الآيات القرآنية.....
٩٧-٩٦	فهرس الأحاديث.....
١٠١-٩٨	فهرس الأعلام
١٠٣-١٠٢	فهرس المصادر.....
١٠٧-١٠٤	فهرس الموضوعات.....